كتب ثقافية

نسائم الصيف

بقلم

محمود مسعود



بقلم
محمود مسعود

غـــرام الصيف

— ١ —

قدر أن تنتهى عطلة هنرى الصيفية فى شواطىء كاليفورنيا الجميلة نهاية حافلة لم تخطر له ببال .. فبيما هو جالس مع صـــديقه (بوكى) فى مشرب الفندق الكبير يتداولان فيما يكون من أمر مستقبلهما بعد توقف العمل فى مصانع (مارفن) الهندسية وقد رقت من حولهما نسائم المساء العذبة إذ حانت من هنرى التفاتة فالتقت عيناه بعينى تلك الفتاة الرشيقة السمراء بتأثير شمس الصيف وقد جلست فى أحد أركان المشرب تنظر إلى ناحيته ، ثم رآها تبتسم له ابتسامة حيرته وجعلته يفكر جاهداً لكى يتذكر أين شاهدها من قبل .. ولم يطل به التفكير ، فقد تذكر فيها (ليسلى مارفن) كريمة صاحب المصـانع ، ولم يصدق أنها تختصه بابتسامتها حتى قال لصاحبه فى هذا المقام : استبعد كثيراً أنها عرفتنى .. فإنها لم ترنى إلا مرة واحدة فى المصنع ، وكنت إذ ذاك ملطخ السحنة بالشحوم والسناج .

ومهما يكن فلم يلبث هنرى أن قضى على وساوسه وتردده حين تهيأت الفتاة للانصراف ، فقد خف إليها لدى الباب وقال لها فى جرأة لم يدر مبعثها : مس مارفن ؟.. يؤسفنى أنى لم أعرفك لأول وهلة بسبب

الظلام .. ومن دواعي سروري أن ألتقي بك ثانية . . أما الفتاة فقد بدا جلياً من سماتها أنها لم تتذكره ، وراحت تجهد ذاكرتها حيناً معربة عن شعورها معددة ذكر المواطن التي رجحت أنها كانت مناط اللقاء الأول .. فذهب هنري يداورها ويحاورها حيناً وقد طاب له أن ينسى بعض الوقت حيــــاة الكدح والنصب في المصانع ومكاره التبطل الوشيك ، ثم سألها عرضاً : أأنت نازلة في هذا الفندق ؟.. فقالت : إني ووالدي نقيم في أحد الأكشاك الصيفية الكبيرة الملحقة به .. أو أنت من نزلائه أيضاً ؟.. فهم أن يكاشفها بالحقيقة لولا أن أمسك إشفاقاً من مغباتها الوخيمة . . وكيف يطاوعه قلبه على أن يقول لهــا أنه يحتل من هذا المصيف الكبير غرفة متواضعة يسمع منها هـــدير أمواج البحر دون أن تكتحل عيناه بمرآه ، وأنه يرتقي إلى غرفته درجات سلم مهتز مجتازاً إليه ردهة تفوح فيها أبخرة الطعام .. وهو إنما يبتغي أن يسعد لحظات بالتقرب إليها ؟. وكذلك أجاب بالإيجاب .. وكذلك افترقا على لقاء ..

ولم يكن أسرع من هنري في متابعة مغامراته حتى النهاية .. فقد هجر حجرته المتواضعة واستأجر بالفندق الكبير غرفة فخمة في الجناح الشرقي وشهده اليوم التالي وهو جالس في شرفة الفندق البحرية يتناول أفطاره ويطالع صحف الصباح خلي البال في الظاهر ولكنه كان في الواقع ينقب في صفحة الاعلانات عن عمل يدرأ به غوائل التبطل قبـــل أن تتبخر الألفا دولار التي هي قوام ثروته ، فما روعه وهو كذلك إلا صوت مس مارفن تحييه في رقة وإيناس ، فلما نهض للترحيب بها مترضاً من أثر

المفاجأة وهو يطوى الصحيفة خلسة قالت له معتذرة : لعلى أفسدت عليك خلوتك . . وإذ نى هذا الخاطر فى عزم ورصانة تابعت هجومها قائلة : ماذا كنت تقرأ ؟. صحيفة المال والاقتصاد ؟ . لخرج عن تردده بنمم يتق بها المزيد من التورط . فقالت له باسمة : أنت فى هذا مسكين كوالدى ، المال والاقتصاد شغلكما الشاغل ليل نهار . . أنت الليلة مدعو لتناول العشاء معنا ، فإن أبى يريد أن يلقاك بعد أن يعرف على وجه التحديد أين كان لقاؤنا الاول بعد إذ حبطت فى هذا محاولاتنا .

وشفعت قولها بضحكة عذبة كان هنرى فى شغل عنها بكربته ، حتى ذهب يناجى نفسه بهذا : « إن والدها حقيق أن يتذكرنى وقد كنت فى عداد عمال مصانعه ، وسيكون ذلك أيذاناً بنهاية الحلم الذهبي البهيج . . لم يبق الآن إلا أن أهجر هذا الفندق من غدى والتمس لى عملا ، فوداعا يا عروس المنى ، وإلى اللقاء فى عالم الذكريات والأحلام ! »

ولما ذهب هنرى فى الموعد المحدد تلقته (ليسلى) بالبشاشة وقدمته إلى والدها قائلة : هذا يا أبت السيد هنرى الذى حدثتك عنه ، فهل تستطيع أن تدلنى أين رأيته لأول مرة ؟ . فجعل الوالد البدين يحدج الشاب بنظرات ثاقبة من تحت حاجبيه الكثيفين وهو يقطع طرف سيجارة الغليظ بمقص من ذهب ، ثم أجاب فى النهاية : إنى لم أره قبل الآن . .

وجيء بالمرطبات وقد سرى عن هنرى . . ودار الحديث ساجياً برهة حتى قطعه الأب بسؤاله عن مهنته ، فتطوعت ليسـلى بالجواب

قائلة : إنه من رجال الأعمال ، وقد فاجأته صباح اليوم وهو يلتهم صحيفة المال والاقتصاد التهاما . . فتلقى الوالد هذا البيان بالارتياح ، ولم يملك هنرى إلا أن ينظر إلى الفتاة صامتاً وهو كظيم . . وسمعها بعد قليل تسأل والدها : هل تم اجتماعك بالسيد (أوركوت) ؟ . .

– ٢ –

فأجاب الوالد بعد تمنع أن هذا الاجتماع سيتم غداً . . فاتجهت (ليسلى) إلى الشاب بالبيان والتفسير قائلة : الحقيقة أننا ما جئنا إلى هنا الا للقاء مستر (روجر أوركوت) رجل الأعمال والمقاولات المشهور فقال الوالد معاتباً : عجبت لك يا (ليسلى) ، تجعلين من حياتى كتاباً منشوراً يقرأه كل الناس ! . . لقد حان موعد العشاء ، فهلموا بنا إلى المائدة . .

وما كاد هنرى يؤوب إلى غرفته فى الهزيع الأخير من الليل حتى نضا عنه سترة الليل التى كان قد استأجرها لهذا الغرض وشمر عن ساعديه يحصى رصيد حسابه . لماذا هو قد أنفق خمسمائة دولار فى يومين بين أجر الاقامة ووجبات الطعام والشراب ونفقات اللباس ونفحات الخدم إلى آخر هذه التكاليف الباهظة التى يقتضيها المقام فى مثل هذا الفندق العتيد ولقد والله ربع هنرى المسكين لهـــذه النتيجة المستطيرة وزلزل أيما زلزال ، فلم يخفف عنه من أهوال هذا الموقف العسير إلا أن (ليسلى) قد واعدته على اللقاء فى حوض السباحة ظهر غد وأن والدها الخطير الشأن قد ربت على كتفه عند انصرافه ونعته بيا ولدى ! . .

واستيقظ هنرى فى الصباح وهو يشعر برغبة شديدة للاستحمام على على انفراد عسى أن يلطف الماء من سورة مايعانى ، فانتحى من الشاطىء ناحية منعزلة ، ولم يكد يهم بالارتماء بين أحضان الموج الرحيم حتى سمع صيحة استغاثة ، فالتفت فرأى إلى يمينه ذراعا تلوح بين الأمواج المتلاطمة التماساً للنجدة . فوثب من فوره إلى اليم ، وعاد الشاطىء بعد قليل وبين يديه شيخ واهن لاهث ، فمدده على الرمال ، ثم رفعه من عقيبة وأخرج الماء الذى حواه جوفه ولما ءالج الشيخ الكلام فى شرحال منعه هنرى بلطف وهدأ من روعه ، ولم يتركه حتى اطمأن عليه فى رعاية طبيب الفندق . .

وجلس هنرى يفطر فى شرفة الفندق البحرية بعد ابدال ملابسه وهو يفكر فى أعراض هذا الحب الوليد الذى انبثق فى فؤاده غضا رطيباً ثم استوى ماردا طاغياً حتى صرفه عن التماس العمل خمسة أيام سويا تقاص رصيده فى غضونها فأضحى لايجاوز تسعمائة دولار بعد أن كان الفين .

ولقد ضاعف من بلواه أن مدير الفندق غدا يحدجه بنظرات غريبة كلما اجتاز الردهة ذاهباً أو آيباً . . بل شر من هذا أنه قد استرعى نظره فى العهد الاخير لذلك الشخص الانيق الذى درج على متابعته عن كثب كلما سار فى أرجاء الفندق وقد رجح هنرى أنه مخبر خصوصى نيط به تجسس أحواله وتعقب شئونه للتأكد من سلامة مركزه المالى ، حتى لم يملك هنرى بعد ذلك إلا يروغ فى مماشى الفندق ويمرق بين أروقته وابهائه اتقاء لهذا المطارد البغيض . .

وانقضى أسبوعان ، تصرمت أيامهما سراعا كأنها أوراق تقويم مرقوم . . وجلس هنرى يومه الخامس عشر فى حديقة كشك مارفن يدرس الشئون المالية والاقتصادية انتظاراً لحضور (ليسلى) لكى يلاعبها التنس وهو مؤمن أن هذا ختام الأيام الزاهرة التى اتسعت بها حياته الراهنة . . نعم أنه قد راوده فى أول عهده بهذا الحب حلم مداره بيت صغير تشاركه إياه (ليسلى) زوجة قريرة العين، بيد أنه قد درس أطوارها عن كثب فألفاها لاتعرف المال حسابا ، وهكذا طوى من فوره ذلك الحلم العارض وغيبة محسوراً . .

وأقبلت (ليسلى) تفيض حيوية وإشراقا وتتوثب مرحاً وبهجة ، وبعد أن قبلت والدها ألحت عليه بالسؤال عن أطوار اجتماعه المرتقب برجل الأعمال الكبير (أوركوت) ، ولم تتخـــل عنه حتى علمت أن الاجتماع سيتم بعد ظهر اليوم . .

وانتقل معها هنرى بعد التنس إلى بقعة صخرية من الشاطىء وقال لها فى معرض النجوى بعد مداعبات شتى ومصاولات من الجانبين مستعذبة: ما أحلاك يا (ليسلى) وما أبهى جمالك ! .. هل أتيح لك يوما أن تسلق بيضة ؟ . فأجابت فى مثل خفته وهى تعابث الماء بقدمها : كلا . . . كلا أهذا نذير سوء ؟ . فقال هنرى : إلى حد ما . الحق يا (ليسلى) أنك خلقت فى حجر الترف والنعيم ، ومثلك حرية أن تتقلب فى الترف والنعيم إلى الأبد . فلم تغضب ولم تجادل .

ولما عاد إلى غرفته خاطب صديقه (بوكى) تليفونيا فقال له بلا أدنى تمهيد : أعرنى سمعك ياصاح ولا تقاطع أو تستفسر .. حين أدفع اليوم حسابى النهائى بالفندق لن يبقى من رصيدى سوى كسور دولار وسأجتمع الليلة بوالد (ايسلى) فأريه باقى الرصيد وأطلب اليه يد فتاته ولابد لى الآن من عمل أعول منه زوجتى على صورة أرجو أن تألفها غير بعيد .. فهل شغلت الوظيفة التى حدثتنى عنها فى الشركة ؟

فأجاب صاحبه . تعال الآن لمقابلتى وسأفاتح الرئيس فى أمرك . وكل ما أرجو ألا تلبس ربطة العنق الصارخة التى رأيتك تختال بها فى أيام عزك الأخيرة .

- ٣ -

وخرج هنرى للقاء مرفن بعد إذ أخفق فى الاتصال التليفونى به ، فصادفه لدى كاتب الفندق الذى كان يقول له بلهجة تنم عن شدة الأسف : معذرة يا سيدى ... إن مستر (أوركوت) مايزال معتكفاً فى جناحه الخاص ولا يجتمع بأحد ، كما أنه سيبرح الفندق غدا ...

وما كاد مارفن يبصر هنرى حتى تمالك جاشه وأخفى ما كان يجيش فى نفسه من انفعال وهش فى وجهه قائلا : هيا بنا إلى المشرب ياهنرى.. إن لى معك حديثاً خاصاً . فأعرب هنرى بدوره عن رغبته فى هذا الحديث ، وما كاد يستقر بهما المجلس حتى فاجأ مارفن الشاب بقوله : أتحب ابنتى ياهنرى ؟ .

ـ بلا ريب ياسيدى ! ..

ـ إذن تزوجها ..

جمد هنرى فى مكانه من عنف المفاجأة ... وما أسرع ما انحسرت عنه موجةالفرح الغامر التى احتوته أول الامر ، ثم تركته فريسةللهواجس والوساس .. وقبل أن يفصح عما كان يتحفز للافضاء به راح مارفن يقول متئداً : سأصارحك يا بنى بما عندى بغير لف ولا التواء .. فليس أحب إلى من أن تعرف الحقيقة عنى قبل أن تـكاشفنى بما لديك .. أعلم يابنى أننى مفلس

هنا لك تبخر كل قول كان هنرى يفـكر فيه أو يستحضره ، بينما قال له مارفن : الآن هات ما عندك .. فقال هنرى وهو يبتلع ريقه فى جهد أى جهد: لا كلام عندى يا سيدى .. فقال مارفن : لا بأس يا بنى .. إن الصراحة هى أبدا شعارى فى الحياة أنت غنى موسر .. وبوسعك أن تهيء لكريمتى من أسباب النعيم ما اعتادته طول حياتها .. وهذا ماحدابى إلى أن أطلب إليك الاقتران بها ...

وقد حاول هنرى أن يعرب لمحدثه عن عطفه فى مثل هذا الموقف لولا أن ارتج عليه ، فى حين استطرد مارفن يقول : إن النكبة التى حلت بمصانعى نجمت عن ظروف تحويل الإنتاج من الحرب إلى السلم ، فقد ألغيت جميع العقود التى ارتبطت بها بعد أن كنت قد استحضرت آلات

ومعدات ضخمة لمضاعفة الأعمال ، ومن هنا كانت الكارثة ، وكان التوقف والعطل ..

وقد ذهبت أنظر حولى بحثا عن العون ، فكان روجر أوركوت هو تصدى الأكبر فى هذه النازلة لما هو معروف عنه من أنه قطب الصناعة والمقاولات الكبير .. وهكذا ترى أنى عاطل لا عمل لى ، شأنى فى هذا شأن عمال مصانعى ..

فتمتم هنرى قائلا : سوف توفق إلى حل على وجه ما .. فقال مارفن وقد دبت الحمية إلى حديثه فجأة إنى لا أعبأ بشخصى ، فقد كنت مفلساً فيما مضى من حياتى ، ولكنى لا أريد أن تكتوى (ليسلى) بنار هذه المحنة نعم .. لا أحب لها أن تغسل الجوارب وتكنس الأرض وتمسح الحمام ... صحيح أن أمها امتحنت معى بمثل هذا فى سالف أيامى ، بيد أنها كانت من طبيعة صلبة لا تتخاذل ولا تشكو ذلك وإن كانت التجربة فى ذاتها مما يشق على النساء احتماله ..

ولم يلبث هنرى أن استوى قائماً وقد انهار كل شىء من تحته ، وقال لصاحبه : يؤسفنى يا سيدى أن أقول أنى لا أستطيع الزواج بكريمتك .. فتطلع إليه مارفن قائلا : ولم لا ؟ تعنى أن فقرها هو المانع ؟ .. فأجاب هنرى وقد جف ريقه ويبس حلقه . نعم .. هو كل المانع ..

***

سلخ هنرى ليلة ليلاء أقضت مضجعه فيها الكوابيس والرؤى المفزعة..
فلما استيقظ فى الضحى مضى مكدودا سارع بارتداء ملابسه وحزم متاعه ، وهرول إلى كاتب الفندق يسدد حسابه وهو يحرص على اجتناب لقاء مارفن .. فإذا هو يقابل مارفن ذاته يسدد الحساب بدوره وقد وقفت (ليسلى) على مبعدة لدى منصة الجرائد والمجلات تنتقى بعض البطاقات المصورة..والحق أن مارفن حياه متوددا دون أن يكن له ضغنا ولا موجدة وقال أنه مرتحل إلى موطنه فى ترنتون لالتماس العون المنشود بعد حبوط محاولاته مع روجراوركوت ولما أعرب هنرى عن رغبته فى توديع (ليسلى) قبل رحيله هو الآخر حذره مارفن من الإقدام على هذه المحاولة لاستيائها منه بعد أن أخلف موعده معها ليلة أمس ، وصافحه مستأذنا وسار للانضمام إلى فتاته وهنرى يتبعه النظر وفى النفس لوعة وكمد ..

— ٤ —

ثم أفاق بعد برهة حين شعر بيد تلمس منكبه ، فما كاد يرى فى القادم ذلك الرجل الأنيق الموكل بملاحقته فى الفندق حتى استدار له قائلا فى عنف وشراسة : اسمع ياهذا ... لا لزوم لمطاردتى بعد اليوم فإنى سأسدد الآن حسابى كاملا . . مفهوم ؟ . . فنظر الرجل إلى هنرى فى دهشة قائلا :

أنت مخطىء ياسيدى أنى لست ملحقا بهذا الفندق ... فقال هنرى : إذن فلماذا تتعقبنى ؟ فأجاب الرجل : إنى سكرتير مستر روجر أوركوت ، ولدى رسالة لك فهو يريد أن يلقاك . . فقال هنرى متهما

سمعه : مستر اوركوت يريد أن يلقانى ؟ . . فأجاب الرجل وهو يومىء برأسه : نعم . . . وهو الذى تراه هناك فى البهو . . فالتفت هنرى إلى حيث أشار ، وقال مشدوها أهذا مستر أوركوت ؟ . . فأجاب الرجل فى بساطة : هو بعينه ياسيدى

وتبع هنرى سكرتير المالى الكبير كالحمل الوديع وقد ذهب عنه الغضب إلى حيث كان الشيخ الكريم الذى خف لاستقباله والحفاوة به حتى لم يكد هنرى يصدق أن هذا الشيخ الطلق المحيا الذلق اللسان هو نفس الشيخ الواهن اللاهث الذى أنقذه من الغرق منذ أيام قلائل . . والواقع أن مستر اوركوت لم يدع له فرصة للكلام، فقد ابتدره قائلا : إنى كنت منحرف الصحة عقب الحادث ، وقد عهدت إلى سكرتيرى هذا فى البحث عنك ، ولكنه عجز عن اقتناصك بسبب أساليبك البارعة فى الإفلات والاختفاء . . بودى أن أسديك خدمة . . سأحرر لك شيكا على بياض.. فقال هنرى فى جد ورصانة : لست فى حاجة إلى مال يامستر اوركوت . لكن هناك صديق لى أود أن تيسر له سبيل الاجتماع بك بعد أن ذهبت محاولاته فى هذا سدى . .

* * *

وابتعد هنرى عن الرجلين المتيدين مطمئنا آخر الأمر وقد رأى أوركوت يقدم إلى مارفن سيجارا غليظا وينتحى به ركنا حيث دار بينهما حديث ودى وثيق . . أما هنرى فقد حمل حقائبه وأخذ يسير فى

عشى الفندق الخارجى وهو يشعر فى أعماق نفسه بسعادة يمازجها شقاء بين . . فجعل يصفر حينا تخلصاً من هواجسه ووخزات قلبه حتى سمع ركضا من خلفه وصوتا أثيرا عنده يهتف باسمه .

فتابع خطاه وقد عقد العزم على نبذ كل تفكير فيما مر به وكل تعديل لخطته وقد ألفى أبواب الرجاء موصدة دونه ولا سبيل إلى الحل الموفق السعيد . . فلما أدركته (ايسلى) أو كادت قال لها دون أن يدير رأسه لقد كان فى نيتى أن أخبر والدك أنى كنت من عمال مصانعه . . فقالت وقد حاذته : ليس فيما تقول جديد على ، فقد كنت أعرف هذه الحقيقة طوال الوقت . .

فلما رماها بنظرة منكرة استطردت تقول وهى تلهث من الجهد . الحقيقة ياهنرى أنى عرفتـــك من أول نظرة ، ولذت أنتظر منك أن تصارحنى ، فلما رأيتك أحجمت آثرت أن أجاريك فى مراوغاتك عبثا وتسلية . . نعم إنك خدعت والدى ، لكنك لم تستطع خداعى . . وإلا فهل كنت تحسب أنى أتصدى لمحادثة أى عابر سبيل التقى به فى المشارب؟..

الواقع أنى لم أنس ابتسامتك الأولى منذ اليوم الذى زرت فيه مصانع والدى وكدت أتعثر فى السلك الفولاذى لولا أن جذبته من طريقى وأنقذتنى من السقوط ..

فوضع هنرى حقائبه وواجهها قائلا : اسمعى يا بنية .. أنت لاتعرفين الحقيقة ، ولا تقدرين على احتمالها فإنك فتاة رقيقة نشأت فى حجر الترف

والنعيم . انى سأتقلد من غدى عملا متواضعا لا يدر أكثر من ريالات معدودة فى الأسبوع .

وسوف يتعين عليك أن تغسلى الأطباق وترتق الجوارب إن كنت تعرفين الرتق حقا . . . فقالت وقد شاع العزم والجد فى سطور محياها البديع إن أمى عندما تزوجت أبى كانت ترتق الجوارب وتطبخ وتكنس وتمسح الارض . . فهل ترانى أدنى فى هذا من أمى ؟ . .

ووقفت أمامه ترتقب جوابه مشفقة، فجاءها قبلة حارة كانت أفصح من كل جواب وأبلغ من كل بيان .

عروس الجندول

ماذا تفعل إذا كانت ليلتك الأخيرة فى مدينة البندقية، وتعين عليك أن تفارق مجاليها السحرية الفاتنة ؟ . .

تلك هى المعضلة العويصة التى واجهت ميكائيل فى ليلته الأخيرة بالبندقية عشية الرحيل الذى يزمعه من غده عائداً إلى لندن بعد تسوية موضوع الميراث الذى آل اليه من عمته كاترين ، تلك العمة التى تزوجت فى شبابها نبيلا ايطاليا حزنت لوفاته أخيراً فلحقت به بعد قليل ، تاركة لابن شقيقتها ميكائيل ثروة طيبة من مال وعقار لاينازعه فيها شريك .

وبينما كان ميكائيل غارقا فى تأملاته تلك وهو يشرب القهوة التى أعدتها له ماريا خادمة عمته الوفية إذ أقبل انجلو قائد الجندول ليحمل الضيف العزيز فى جندوله الانيق كعادته كل مساء منذ هبط المدينة ، وفجأة استدار ميكائيل فى مكانه وواجه البندقى، فاذا هما متماثلان فى الطول، وإذا هو يقول له ضاحكا ضحكة الانفعال الذى تملكه : « اسمع يا انجلو.. سأحل مكانك هذه الليلة فى الجندول . . . إن كل ماينقصنى هو سروال أزرق من الصوف وسترة بيضاء » . . . فقال انجلو ضاحكا وهو يعد هذا الكلام من قبيل المـــزاح والدعابة : « وهل نسيت قبعة القش العريضة ذات الشريط الأحمر لكى يكمل الزى ؟ » . . . فرد ميكائيل

قائلا : « لالزوم للقبعة . . . سأذهب حاسر الرأس ، كما يفعل أبناء المهنة في أغلب الأمسيات . . . هلم بنا ياانجلو ولاتضع الوقت في الجدل » .

وإذا كان انجلو قد نزل على رغبة الشاب فانه لم يتمالك أن قال له وقد حشر نفسه في السروال الأزرق والسترة البيضاء : « ترى ياسيدى ماالذى تنشده حقا من وراء هـذه المغامرة ؟ » . . فأجاب ميكائيل بعد تردد يسير : « بنفسى أن أنفذ الليلة من البندقية إلى أعمق أغوارها وأبهر أسرارها . . الم تقل في مناسبات سابقة أن قائد الجندول يستطيع أن يحيط من النفس البشرية بما لا يتهيأ لغيره من أرباب المهن ؟ » . . فأجاب انجلو : « هوذاك ياسيدى » . . فأردف ميكائيل يقول : « قد عرفت إذن أهدافي من هذه المغامرة . . فهيا بنا على بركة الله » . .

وعاد انجلو إلى معارضته السابقة عندما استقرا في الجندول لدى عتبة الدار ، إذ راح يقول : « إنى مشفق عليك ياسيدى من هذه المغامرة . . . نعم إنك تتكلم لغتنا المحلية كأحد أبنائها ، وأنت خبير بقيادة الجندول عليم بمواقع القنوات محبوب من ابناء المهنة الذين يعرفونك تمام المعرفة . . لكن هناك فرق هذا كله ، تلك « الحيل » الصغيرة التي ما أظنك تعلم من أمرها كثيراً ولا قليلا » . . فقال ميكائيل مدهوشا . « الحيل الصغيرة ؟ » . . فاستطرد انجلو يقول ضاحكا : « نعم . . . » وراح يكشف لميكائيل اسرار المهنة وألطف خوافيها ، راويا له طائفة مما اسماه الحيل الصغيرة

لكن الحق أن ميكائيل لم يكن ملقيا بسمعه إلى حديث انجلو بقدر ما كان مستغرقا بكل جوارحه في الاستمتاع بمفاتن الليل يهبط على البندقية

بظلاله الأخاذة الفريدة ، ذلك والجندول ينساب مختالا إلى المحطة العمومية فى القناة الكبرى حيث تبدأ الرحلات والنزهات . .

وبعد انسحاب انجلو خـــلا الميدان لميكائيل ، واستقر وحده فى الجندول يتصفح وجوه المارة فى المحطة العمومية لعل بينهم من يؤثره على سائر « الزملاء » المرابطين بقواربهم متصايحين متنافسين فى اجتذاب الركاب . . وفجأة لمح ميكائيل بين الوجوه العابرة وجها مليحاً ايقن بنظرة واحدة أنه وجه إحدى مواطناته . . وكانت الفتاة فى نضرة الصبى، تنسدل فوق عينيها الزرقاوين أهداب طوال، ويترقرق فى بشرتها التى لوحتها الشمس فيض الحيوية والنشاط وقد تأبطت بعض الكتب كما يفعل الطلاب عادة . . وفى غمرة الانفعال الغلاب الذى انتاب ميكائيل لمرأى الفتاة لم يتمالك أن هتف لها بكلمة « جندولا » وهو يومىء إلى القارب إيماءة بليغة ويمد يده الثانية إلى كتبها ، وما كان أشد ابتهاجه حين لبت الفتاة نداءه بعد تردد لم يطل مداه واستقرت فى القارب ...

على أنها التفتت اليه وقالت فى إشفاق بلغة الطلاب الايطالية : « هلا أخبرتنى أولا كم تكلف الرحلة ؟ » . . . فأجاب ميكائيل : « ألف ليرة فى الساعة يا آنسة . . . وألف وخمسمائة بعد الغروب » . . فقالت الفتاة: « يا لارتفاع الأسعار فى البندقية ، وإن كانت مدينة بديعة » فقال ميكائيل باسما : « لنفرض اذن أن الشمس لم تغرب بعد ، ونعمل بأسعار ما قبل الغروب ؟ » فردت الفتاة ضاحكة وهى تتطلع الى القمر البازغ : « عسير أن نتجاهل الحقائق السافرة . . لكن لا بأس . . إن ركوب الجندول

متعة عظيمة يغتفر معها كل إسراف، خصوصاً فى مثل هذه الليلة البديعة»..
فقال ميكائيل : « صدقت يا آنسة وأين وجهتك ؟ » . . فأجابت الفتاة:
« وجهتى ؟ . . اذهب بى الى البقاع المحبوبة لديك . . . لا أريد البندقية
المطروقة لأغلب السياح، بل أريد المدينة الحقيقية ذات الأسرار والمفاتن..
إن تقدير هذا موكول اليك ، وأنت البندقى العريق » . .

فابتسم ميكائيل ابتسامة خفية ، والقارب ينساب بهما بعيداً عن
ضوضاء المحطة إلى سكينة القنوات التى تكسرت فوق أمواهها أضواء
القمر الساجى ، وصاحبنا مفتون بسحر نظرات الفتاة ورقة حديثها ،
حتى أوشك مرة أن يصطدم بقارب عابر لولا أن سارع بتغيير وجهة
الجندول وقد بدرت منه همهمة سبق إليها اللسان .

وقال لها لكى يزيد بها تعارفاً : « أراك تتحدثين الايطالية بطلاقة
يا آنسة » . فأجابت بقولها : « هى محاولة لا بأس بها . إننى من طلاب
الجامعة ، وقد اعتدت أن أزور إيطاليا فى العطلات الدراسية » .

ومر بهما الجندول تحت قنطرة صغيرة ، فقال لها ميكائيل وقد ترك
المجداف وركع فى القارب على إحدى ركبتيه كما يفعل أرباب المهنة لدى
المرور بالمعالم الأثرية : « أرأيت هذه القنطرة يا آنسة ؟ لقد اعتلاها ذات
ليلة رجل اعتزم الانتحار ، فلم ينقذه من محاولته سوى وجه مليح تجلى له
فى تلك اللحظة الرهيبة . . كان الرجل قد خسر كل أمواله ، وفيما هو على
أهبة الوثوب من القنطرة إلى جوف المياه ، مرت به فتاة لها عينان

تتلألآن كالنجوم ، فكانت نظرتها المشرقة إليه بمثابة فجر وضاء بزغ فى سمائه ، وكذلك ابتسمت له الحياة فجأة ، وعدل عن محاولته الممقوتة .

كانت واحدة من تلك القصص التى تلقاها ميكائيل عن انجلو ، قد أنصتت إليها الفتاة مبهورة دون أن تعلم أن عمق المياه فى القناة الصغيرة لا يتجاوز ثلاثة أقدام ! . وقد عقبت عليها قائلة : « يا لها من قصة مؤثرة فى بساطتها . . ولو وقعت هذه القصة فى صميم حياتنا معشر الانجليز لا فتعلنا لها خاتمة أخرى ، فجعلنا البطل المنتحر يتبع الفتاة وينتهى به الأمر إلى الزواج . . لكنى مع ذلك معجبة بختام القصة على هذا النحو ، لما انطوت عليه من بساطة عميقة » .

ومهما يكن فقد انتزعت الفتاة نفسها من هذا التأثر العارض الذى تجلى فى لهجتها ونظراتها الحالمة ، وقالت له : « هل انتهت الساعة المحدودة للنزهة ؟ ليست معى ساعة بكل أسف » .

فنظر ميكائيل إلى ساعته ، وإذا هو لا يكاد يصدق عينيه حين ألفى أنه قد سابح مع الفتاة فى الجندول ساعتين دون أن يشعر بتعاقب الزمن فى تلك اللحظات الهانئة . . على أنه أجابها قائلا : « كادت الساعة تنتهى . أتريدين العودة إلى المحطة ؟ » . فأجابت الفتاة مكرهة : « لابد مما ليس منه بد . . إننى عائدة إلى انجلترا غداً . ولا مفر من الاستعداد للسفر » .

فسألها متجاهلا : « وما هو موعد قطارك ؟ » .

فردت تقول : « الساعة العاشرة صباحاً » .

فمضى يسألها : « وفى أى فندق تقيمين ؟ » .

ولما أجابت أنها تقيم فى فندق بيللا فينزيا سارع يقول لها : «سأكون بانتظارك لدى باب الفندق بقاربى هذا فى تمام الساعة التاسعة والنصف ، فانى ذاهب إلى المحطة أيضاً فى مهمة معينة » . فقالت الفتاة برقة : « يالها من خاتمة بديعة إذ أبرح البندقية فى الجندول » .

وإذ عاد بهما القارب إلى محطة الجندول العمومية لم يمانع ميكائيل فى أخذ الأجرة من الفتاة إحكاما للدور حتى لا يثير ظنونها ، وقالت له بحرارة وقد اعتلت اليابسة : « شكراً لما أتحت لى من هذه اللحظات السعيدة . إننى لن أنسى ليلتى الأخيرة فى البندقية . وداعا » .

وما كادت تبتعد عنه فى غمار المارة حتى أكتفى ميكائيل من مغامرته الليلية بهذا القدر الحافل ، وولى وجهه شطر دار انجلو وماريا وقد أضمر فى نفسه أمراً . .

وكان وداع ماريا له فى اليوم التالى مؤثرا ، وصحبة انجلو إلى محطة السكة الحديدية فى الجندول مارا بفندق (بيللا فينزيا) ووقف الجندول لدى عتبة الفندق وقد راح ميكائيل يستمتع سلفا بالمفاجأة الكبرى التى أدخرها لمواطنته الانجليزية حين تراه على حقيقته وتفطن إلى اللعبة التى أجازها عليها بالأمس فى نزهتها الليلية معه. فشد ما كانت دهشته إذ شاهدها واقفة لدى درج الفندق باسمة وإلى جانبها حقائبها . كانت تبتسم ابتسامة عريضة . . وقد رددت نظراتها فيما بينه وبين انجلو وقد نمت عن مبلغ استمتاعها بطرافة الموقف ، ثم لم تلبث أن هبطت إلى الجندول بهدوء ،

وقالت له بلغة انجليزية طلقة : « صباح الخير . . . جميل منك أن تتذكر موعد سفرى » .

فجعل ميكائيل يحملق فيها مشدوها ، بينما كان انجلو ينقل أمتعتها إلى القارب ، وقال لها فى ذهول : « كيف علمت حقيقة الدور الذى مثلته ؟ كيف عرفت إنى مواطن لك ؟ » .. فأجابت وهى تنظر إلى يده : « إن خاتمك المنقوش هذا من نوع انجليزى معروف .

ومثل هذا يقال على ساعة معصمك . إنى أهديت أخى ساعة مطابقة لها فى عيد ميلاده » . فقال لها : « هذا معقول . . لكن . » فمضت الفتاة تقول : « ثم إنك حين كنت تتناول كتبى فى الجندول أمس ، جعلت تستوعب أسماءها بنظرة واعية فاهمة . . ولكن كانت أبلغ القرائن على أنك مواطن لى أنه عندما كاد الجندول يصطدم بنا أمس فى قارب عابر سمعتك تهمهم فى سرك بعبارة انجليزية دون وعى منك ، والطبع غلاب » .

وهنا تملكتهما عاصفة من الضحك ، فأطلقا لنفسيهما العنان فى مرح بالغ . . ولم يلبث ميكائيل أن قال لها وقدانساب بهما الجندول وئيدا : « لكن مادام الأمر كذلك ، فكيف لم تخبرينى أنك تعرفين الحقيقة ؟ » فأجابت برقة : « لأنك كنت تمثل الدور فى براعة تامة ، فأشفقت أن أفسد عليك لذة الاستمتاع به » .

وعلى هذه الصورة عاد ميكائيل إلى موطنه وقد فاز من البندقية بعروس بادلته الحب والتقدير .

قصـــة بوليسية

الباحثات عن الجريمة !

ما كادت « ماريون جنجر » تطأ أرض الغرفة المكسوة بالمطاط في مركز المواصلات التليفونية الخارجية بلندن حتى زالت عن محياها الفاتن أمارات الرقة واكتسى مسحة الحزم والعزم كعادتها فى مستهل كل يوم ، حتى ليحسب من يبصرها أنها قد استحالت إلى مخلوق آلى لا هم له سوى الاشراف على الفتيات فى توجيه دفة المكالمات والاتصالات بين لندن وعواصم العالم .

ولمحت ماريون بنظرة واحدة ثلاثا من الفتيات جالسات فى مقاعدهن أمام لوحة التحـويلات وقد وضعن السماعات فوق آذانهن واشتغلت أناملهن الرشيقة فى الضغط على مختلف الأزرار والمفاتيح . وبنفس النظرة الشاملة الثاقبة لمحت ماريون خلو مقعد الفتاة الرابعة المختصة بالمخابرات البحرية مع البواخر فى عرض البحار . . . وما أن أدارت رأسها شطر باب الغرفة المستطيلة حتى انفتح فى سكون ودلفت منه الفتاة الغائبة ، فتلقتها بقولها :

ـ لقد تأخرت ثلاث دقائق ياباميلا

- إنى آسفة يامس جنجر .. حدث عطل فى خطوط المترو نتج عنه هذا التأخير الاضطرارى .

ولكن الرئيسة لم تلن قناتها ، فاستحثت الفتاة على احتلال مقعدها الشاغر مؤنبة ، ثم تحولت عنها إلى حيث استرعى نظرها تراقص الضوء الأحمر فوق لوحة برلين ؛ وسرعان ما أخذت أنامل « الزا » المشهورة بتضلعها فى أكثر اللغات الاوربية تضغط على المفاتيح استجابة للنداء الصادر عن العاصمة الالمانية ، وسمعتها الرئيسة تقول :

- هالو برلين ! .. هنا لندن .. صباح الخير يا آنسة .. حسنا .. أنا مستعدة للكتابة ..

وتناولت إلزا قلمها على الفور ، ووقفت ماريون من خلفها تقرأ الرسالة التالية وهى تستحيل إلى سطور فى الفكرة التى أمامها :

« الساعة التاسعة وخمس دقائق صباحا .. الهراوسكار فيشر صاحب فندق بالاس برلين تليفون ٥٨١٦ يطلب مكالمة مستر جيمس سبنس فى مدينة سيدنى باستراليا ، تليفون غير معروف رقمه .. المكالمة عاجلة »

وهنا أرهفت ماريون سمعها وهى بدورها تجيد اللغات ، بيد أنها آثرت أن تتابع بعينيها نص الرسالة التليفونية التى راح قلم إلزا يسجلها على الورق فى سرعة بالغة :

« عثرنا فى ساعة مبكرة صباح اليوم على نزيل اســـترالى بالفندق

يدعى جيمس سبنس قتيلا فى غرفته رقم ٣٥ ، مهشم الرأس والوجه بحجر كبير ملقى فى الغرفة ، وقد جاء إلى الفندق بالأمس فقط وحجز غرفة لمدة أسبوعين ، ووجدنا أوراقه الخصوصية وجواز سفره منثورة فوق الخوان ، وبدأ من الاطلاع عليها أن زوجته مقيمة بمدينة سيدنى ولهذا استصوبنا الاتصال بها تليفونيا لابلاغها النبأ المحزن . لقد تم إخطار رجال البوليس ، وهم الآن فى طريقهم إلى الفندق للتحقيق.. هلا أسرعت يا آنسة باتمام الاتصال التليفونى المطلوب ؟ » .

ولأول مرة ارتفع صوت الزا الهادىء المتسق وهى تقول لمخاطبها فى برلين .

ـ حسنا ياهر فيشر . سنبذل غاية جهدنا للبحث عن مسز سبنس وتطلعت الزا إلى الرئيسة ، وقالت وقد سرى الدم إلى وجنتيها :

يالها من رسالة لطيفة يتلقاها الإنسان عقب طعام الافطار ! . وما أبشعها من صدمة مدخرة لمسز سبنس فى مدينة سيدنى ! .

فعاجلتها الرئيسه بلهجتها قائلة دون أن تدع لها مجالا لتعقيب جديد :

ـ برلين تطلبك مرة أخرى . .

ونزعت ماريون الرسالة من أمام الزا وسارت أمام اللوحات حتى بلغت مكان فتاة شقراء جلست مسترخية فى مقعدها ، فبادرتها بقولها :

ـ اعتدلى يا مابل . . اتصلى بمدينة سيدنى واستفهمى إن كان عندهم مشترك باسم جيمس سبنس فإن وجد فاطلبي الاتصال بزوجته .

فتطلعت مابل بعينيها الزرقاوين إلى الساعة قائلة :

- الوقت الآن يناهز نصف الليل فى مدينة سيدنى يامس جنجر -

فقالت الرئيسة بأتم برود :

- اتصلى بسيدنى حالا من فضلك !

وجعلت ماريون تذرع الارض وهى تفكر برغمها فى كنه صاحب الجثة المهشمة الرأس بالحجر فى برلين ، بينما كانت مابل تتم الاتصال التليفونى بمدينة سيدنى الاسترالية ، وأفاقت الرئيسة على صوت الفتاة وهى تقول :

-هالو سيدنى !. هنا لندن ! ..

آسفة لإيقاظكم فى هذا الوقت . عندنا مكالمة لمسز جيمس سبنس . أهى مشتركة ؟ . حسنا . أرجو الاتصال بها عاجلا . نعم . أعرف أن الوقت جاوز منتصف الليل .

وقدرت ماريون أن مسز سبنس لاتعرف الألمانية ، فدعيت الزا للقيام بالترجمة بينها وبين الهر فيشر فى برلين . . ووقفت الرئيسة خلف الفتاة ، وبعد أن تم الاتصال التليفونى المنشود راحت الزا تتكلم وتستمع فى نفس الوقت ، قائلة :

- صباح الخير يامسز سبنس .. يؤسفنى أن أبلغك أنباء مكدرة . . إن زوجك .. أقول زوجك .. انه استأجر غرفة هنا فى الليلة الماضية . . وقد دخل فراشه حوالى منتصف الليل .. وفى الصباح وجد شيء محزن . .

إننى فى أشد الأسف يامسز سبنس . . فعندما دخلت الخادمة إلى غرفته فى الصباح وجدته صريعاً فوق أرض الغرفة وشاهدت وجهه مهشما بحجر كبير.. ماذا تقولين ؟ بيجاما ؟ نعم . . كان يلبس بيجاما مخططة بخطوط سوداء وبيضاء . . إن البوليس أخذ فى التحقيق ..

ورفعت إلزا السماعة برهة وقالت متبرمة :

ـ الحالة الجوية شديدة الاضطراب !.

فقالت الرئيسة فى غير هوادة :

ـ إستمرى فى اتصالك . .

ـ نعم يامسز سبنس ؟. إن المتكلم هو صاحب فندق بالاس فى برلين .. ماذا تقولين ؟. هل اجتمع زوجك بأحد فى أثناء النهار ؟.. لحظة واحدة من فضلك . .

وأنشأت إلزا تتحدث بالألمانية قائلة :

ـ هر فيشر . . تود مسز سبنس أن تعرف إن كان زوجها قد اجتمع بأحد فى أثناء النهار .. سأكتب ماتقول ..

وتابعت الرئيسة الرسالة التالية التى أخذت إلزا تسطرها بسرعة بارعة :

« وصل مستر جيمس سبنس إلى برلين بالطائرة القادمة من لندن فى الساعة الرابعة بعد الظهر . . وقد طلب إلى كاتب الفندق أن يستفهم عن موعد وصول الباخرة « بريمن » إلى هامبورج ومتى يصل القادمون بها إلى برلين ، فعـــلم أن الباخرة ستصل بعد أربعة أيام ، وتبين أنه فى انتظار شخص ذى صفة بين ركابها ، وعرف أن هذا الشخص يدعى

«والترهيمار» بعد أن بعث إليه سبنس برسالة لاسلكية على ظهر الباخرة .. وقد تناول سبنس طعام العشاء فى الساعة الثامنة ، وبعد العشاء اجتمع بشخصين أحدهما انجليزى هو الكابتن «برسى الين» الملحق البحرى بالسفارة البريطانية ، والثانى «بدرو جونزالز» الصحفى بوكالة أنباء هافاس فى مدريد . ولم يجتمع بأحد غيرهما »

واتصلت إلزا على الأثر بمسز سبنس وقرأت عليها نص الرسالة . ثم أنصتت إليها ملياً ، وراحت تقول على الأثر :

ـ حسناً يامسز سبنس . . سأستفهم عما تريدين . . هالو هر فيشر .. ! تود مسز سبنس أن تعرف إن كان زوجها قد جاء ومعه حقيبة رمادية ذات شريط أحمر :

وعادت إلزا بعد برهة تحمل الجواب قائلة :

ـ نعم يامسز سبنس . وصل زوجك ومعه الحقيبة الموصوفة ، وكانت ثقيلة إلى حد غير عادى ، ولكن لم يعثر عليها بعد الحادث ، وقد أبلغ البوليس عن هذه النقطة بالذات .. نعم .. وجد جواز السفر . . تسألين عن الحجر ؟. وعن نقود زوجك ؟. سأستفهم من برلين .

وانقضت لحظات عادت بعدها الزا إلى الاتصال بالمتكلمة الملهوفة فى سيدنى قائلة :

ـ وجد البوليس مع المرحوم زوجك مائة مارك فقط ، أى حوالى خمسة جنيهات . ويقول صاحب الفندق فى وصف الحجر أنه رمادى مما

يوجد عادة على سفوح الجبال ، ويمكن إخفاؤه فى جيب المعطف . . ولكنه فى الوقت الحالى ملطخ بالدم . .

وسرى إلى سمع الزا عبر الأسلاك نحيب متقطع ، أعقبته كلمات بصوت متهدج ، فأجابت بعد برهة :

ـ طبعا يامسز سبنس . سأعمل على تبليغك أية معلومات جديدة تصل إلينا . . إن لك أصدق عزائى . .

واستدارت الزا بمقعدها المتحرك وواجهت الرئيسة قائلة :

ـ كانت صدمة أليمة لتلك المرأة التعسة يامس جنجر . .

فقالت ماريون متنهدة :

ـ نعم . هذا شئ محزن . لكن برلين تتكلم مرة أخرى . .

فاستأنفت الزا الاتصال قائلة :

ـ هالو برلين ! . هنا لندن . . تريد دائرة بوليس اسكتلنديارد ؟ . . حسناً . من المتكلم ؟ . إدارة بوليس برلين ؟ . لحظة من فضلك .

وهنا قالت ماريون أنها ستتولى شخصياً طلب اسكتلنديارد ، وأسرعت إلى مقعدها أمام اللوحة الجامعة الخاصة بها وطلبت الرقم المنشود . . وبعد أن تم الاتصال التليفونى بين العاصمتين سمعت ماريون المتكلم الألمانى يقول :

ـ أود مخاطبة قسم العلاقات الدولية . المفتش « راى » هو المختص ؟

شكراً . المفتش راى ؟ . أنا « شوارتز » مدير إدارة المباحث الجنائية فى برلين . صباح الخير ياحضرة المفتش . لقد نمى الينا نبأ وقوع جريمة غامضة ، قتل فيها استرالى .

ولو كانت المكالمة عادية لما تابعت الرئيسة إنصاتها ، بيد أن اتصالها بهذه الجناية التى استفتحت بها نهارها حملها على أن تغير مألوف عادتها فجاءت إلى سمعها هذه العبارات :

ـ . . إن جواز السفر الذى عثرنا عليه فوق الخوان فى غرفة النوم يتضمن البيانات المعتادة ياهر « راى » . ماذا تقول ؟ . إن الباعث على الجريمة غير معروف .. ألديكم ملف باسم جيمس سبنس ؟

وسمعت الرئيسة صوت المفتش راى يقول :

ـ سأقوم بالتحـــريات اللازمة فوراً ياهر شوارتز .. وإذا كانت له سوابق فستكون البيانات تحت تصرفكم كاملة . لاشك أنكم بحثتم إن كان قد اجتمع بأحد فى الفندق ؟

ـ طبعاً .. إنه اجتمع بشخصين . . أحدهما السنيور بدرو جونزالز الصحفى الاسبانى ، ولم نستطع إيجاده .

ـ يبدو أن العصفور طار من القفص !

ـ نعم . .

ـ ربما كان الاسبانى هو ضالتكم المنشودة ياهر شوارتز . . وعلى كل حال سنتصل بكم فى إدارة البوليس حالما نقف على كل مايهمكم معرفته ..

ومالت ماريون فى مقعدها إلى الخلف تفكر فى أمر هـذه الجريمة الغامضة التى ساقتها المقادير إلى متابعة أطوارها ..

وأفاقت ماريون من خواطرها على صوت « باميلا » وهى تتصل بالباخرة بريمن فى عرض الأطلنطى تلبية لطلب شركة «هامبورج أمريكا» الملاحية .. فلما تذكرت أن اسم هذه الباخرة ورد فى سياق الاحاديث التليفونية المتصلة بجريمة برلين أمرت «باميلا» أن تبقى الاتصال بالباخرة قائماً بعد إتمام المكالمة المطلوبة . . وبعد انقضـاء ثلاث دقائق قالت لها الفتاة :

ـ هل أوصلك بالباخرة بريمن يامس جنجر ؟

فأومأت ماريون إيجاباً .. وبعد برهة أدنت ماريون فمها من التليفون تخاطب الباخرة قائلة :

ـ أود مكالمة أحد ركاب الدرجة الأولى المسمى «والتر هيانز» إن كان بين المسافرين .

ـ لحظة واحدة يا لندن حتى أرجع إلى قائمة المسافرين .. نعم .. مستر هيانز من واشنطن ، بين الركاب .. لعله الآن يتناول طعام الغداء ..

ـ أرجو استدعاءه حالا . .

وتعاقبت الدقائق بطيئة فى حساب ماريون المتلصصة حتى خالتها أجيالا .. وفجأة سمعت من يقول :

ـ هالو ! .. هالو ! . أنا والتر هيانز من وزارة البحرية الامريكية .. من المتكلم ؟ ..

فقالت ماريون وهى تغص بريقها من فرط الاضطراب :

- هل كنت مسافراً إلى برلين للاجتماع بمستر جيمس سبنس ؟ .

- مؤكد . . لكن من المتكلم ؟ . . فتابعت الرئيسة مخاطبتها قائلة :

- لقد رأيت من المفيد إبلاغك يامستر هيايز أن جيمس سبنس وجد مقتولا صباح اليوم فى غرفته بفندق بالاس فى برلين . .

- وجد مقتولا ؟ ! . ياللسماء ! . إنى تلقيت منه رسالة لاسلكية صباح اليوم ! . أيمكنك إبلاغى التفاصيل ؟

- إن خادمة الفندق أكتشفت مقتلة فى غرفة نومه . وقد وجدته مهشم الوجه بحجر ؟ !

- حجر ؟ !

- نعم حجر ؟ !

- هذا غريب ! . أيمكنك وصف الحجر ؟ .

فأجابت ماريون بعد أن ألقت نظرة عجلى على المذكرات التى بين يديها :

- هو حجر كبير رمادى ، ولكنه الآن ملطخ بالدم .

- لابد أنه حجر « التوبلانيت » وبينما كانت ماريون تدون هذا الاسم بسرعة سمعت محدثها يقول :

- لكن هذا شىء بالغ الخطورة ! . هل تولى البوليس التحقيق ؟ .

- نعم . . بوليس برلين . .

ـ هل اجتمع القتيل بأحد فى الليلة الماضية ؟

ـ اجتمع أولا بالكابتن برسى الين الملحق البحرى بالسفارة البريطانية

ـ آه ! . .

ـ ثم اجتمع بالسنيور بدرو جونزالز ، الصحفى بوكالة هافاس بمدريد .

ـ من تقولين ؟ . إن بدروجونزالز الذى أعرفـــه يعمل فى مكتب المخابرات الجاسوسية الدولى ببروكسل ! .

وسرعان ما أضافت ماريون هذه البيانات الثمينة إلى مجموعة أوراقها ، بينما سمعت محدثها يقول :

ـ وأين جونزالز هذا الآن ؟ .

ـ ايثنى أعرف يامستر هيمانز

ـ هذه أشيـاء شـديدة الغموض . . لـكن . . من تـكونين بربك يا أختـاه ؟

وللمرة الثانية شعرت ماريون أنها تغص بريقها ، فأسرعت بتغيير نبرات صوتها قائلة :

ـ هنا لندن . . انتهت المـكالمة مع بريمن . . مع السلامة .

ـ اسمعى يا . .

ولـكن ايماءة حازمة من ماريون جعلت باميلا تقطع الاتصال مع عابرة المحيط . . وما كادت ماريون تنهض من مقعدها حتى لمحت « الزا »

تومىء إليها بعينها . . فأسرعت شطر لوحة برلين حيث بادرتها الرا قائلة :

ـ هذا أحد الرجلين اللذين زارا جيمس سبنس قبل مصرعه .

ـ من هو ؟ .

ـ الكابتن برسى الين الملحق البحرى بالسفارة البريطانية ، وهو يطلب الاتصال بامارة البحر هنا . .

ـ أوصليني بالحديث . .

وبوثبة رشيقة عادت ماريون إلى مجلسها حيث وضعت السماعة فوق أذنيها وأخذت تنصت إلى هذا الحوار :

ـ أريد مكتب المخابرات التابع لإمارة البحر . . هالو ! . . أهذا بوجز ؟ . .

ـ نعم . .

ـ أنا برسى الين أتكلم من برلين . . لقد علمت منذ برهة أن جيمس سبنس قتل فى الليلة الماضية . .

ـ يا للسماء ! . .

ـ وقد وجد مهشم الوجه بحجر .

ـ ماذا ؟ . لعله ليس من الأحجار المعروفة ؟

ـ هو منها بلا شك . . فقد شاهدته بعينى ، بعد أن سمح لى البوليس برؤيته . .

ـ إذن فالبوليس تدخل فى الأمر ! .

ـ طبعاً . .

ـ هل أخبرتهم شيئاً ؟ .

ـ ولا كلمة . . لكن لابأس أن تعلم يابوجز أنى زرته فى الفندق فى الليلة الماضية وفحصت الأحجار . . ثم تركته انتظاراً للتعليمات . . وكانت معه حقيبة مملوءة بالمادة المعروفة . .

ـ هذا مفهوم . . فقد رأيتها قبل مبارحته لندن . . وقمنا باختبار المادة فى مصانع « شاتام » فوجدناها من أصلح المواد التى يمكن خلطها بالفولاذ لتقويته وقد حمل سبنس « العينات » وذهب إلى براين للوقوف على مزيد من آراء الخبراء . . ثم إن براين كانت المكان الملائم لاجتماع هيانز به . .

ـ إن الحقيقة قد اختفت . .

ـ يا للشيطان ! هل زاره أحد غيرك ؟

ـ زاره أسبانى ، يدعى جونزالز . . والبوليس يبحث عن هذا الرجل لكنه اختفى قبل أن يفطن إليه أحد :

ـ وماذا تفعل الآن يا الين ؟

ـ أنسكع عن كثب من البوليس متظاهراً بأنه لا علاقة لى بشئ . .

ـ إذن استمر فى تمثيل هذا الدور وسأتصل بك تليفونيا فيما بعد

وانتهى الاتصال التليفونى ، فرفعت ماريون السماعة وجلست ساهمة تفكر وهى فى ذهول من جرأتها العجيبة التى جعلتها تتبع خفاية هذه الجريمة ، وتحاول إماطة اللثام عن سرها . . وقد تمادت ماريون فى خواطرها حتى غمغمت لنفسها قائلة :

« لاشك أننى سأطرد من الخدمة طرداً إذا فطن المراقب إلى ما أقوم به » .

والتفتت ماريون إلى الزا قائلة :

ـ اتصلى بوكالة أنباء هافاس فى مدريد واستفهمى هل يعرفون أين يوجد السنيور بدرو جونزالز .

فلبت الفتاة على الفور ، وبعد دقائق سجل قلمها هذه الرسالة التى قرأتها ماريون فى اهتمام بالغ :

« تدل التحريات لدى وكالة هافاس بمدريد على أن السنيور بدروجونزالز غير معروف بها »

كانت هذه الكلمات نقطة فاصلة فى القضية ، وقد ضمت ماريون الرسالة إلى سائر القصاصات التى سجلت فيها أطوار الجريمة الغامضة واستغرقت فى تفكير عميق أفاقت منه على صوت فيوليت المختصة بمنطقة نيويورك وهى تقول لها :

ـ مس جنجر . . إن وزارة البحرية الامريكية تطلب الاتصال بإمارة البحر هنا .

فقالت ماريون :

- أوصليني بالمكالمة . .

وأسرعت ماريون إلى السماعة فوضعتها على أذنيها ، فسمعت المتكلم الامريكى يقول :

- وفى رأيى نظراً لتطور الامور على هذه الصورة أن نبلغ والتر هيماتز بالغاء المهمة التى كان ذاهباً من أجلها إلى برلين ، والشخوص إليكم فى لندن للمفاوضة فى الموضوع

فأجاب متكلم امارة البحر البريطانية فى لندن وهو المسمى بوجز :

- كما تشاء أيها الاميرال . . لكننى أود أن أشير إلى أننا لسنا أصحاب الشأن فى هذا الموضوع ، وانما نحن مجرد طرف مهتم به مثلكم تماما . . أما صاحب الشأن الاول فهو سبنس . .

- لكن سبنس الآن فى عداد الاموات ! . .

- هو ذاك . .

فقال المتحدث الامريكى وقد ساءه أسلوب محدثه الانجليزى :

- ولكن المعروف والمفهوم أنكم أجريتم بعض التجارب على المادة الجديدة ؟

- يؤسفنى أن أقول أيها الاميرال أنى لست فى حل من الافضاء بأية بيانات فى هذا الصدد . .

- كذا ؟ . . لابأس . .

وأقفل المتحدث الأمريكى الكبير الخط مستاء . .

وانتهى الحديث ، ولم تكد ماريون تضع السماعة مكانها حتى شعرت بقشعريرة باردة تسرى فى كيانها لدى سماعها صوت « المراقب العام » يناديها وقد وقف خلفها من حيث لاتدرى . .

يا للهول ! . . إذن فقد وقع المحذور ، وفطنت إدارة التليفونات إلى حقيقة النشاط الذى تورطت ماريون فيه ! . .

ونهضت ماريون لمواجهة المراقب العابس المتجهم وقد اصطبغ محياها بحمرة قانية كمن يؤخذ متلبساً بجريرته، فقال المراقب فى أتم برود :
- أقدم لك مفتش البوليس السرى «راى» التابع لاسكتلند يارد .. إنه يرغب فى التحدث إليك على انفراد . .

فلم تتمالك ماريون أن ارتعدت وقد تجلت لها خطورة الموقف . . وسرعان ماغاضت الحمرة من وجهها ، واعتراها شحوب شـــديد وهى تواجه ذلك الشاب الفارع العود المتناسق البناء الذى جعل يرمقها بنظرات الدهاء والارتياب ، وإذا هى تقول متلعثمة:

- ما أشد أسفى !. إنى لم أكن أعلم أن . .

فأشرق محيا المفتش الشاب بابتسامة عذبة لم تكن ماريون تتصورها فى رجال البوليس وخاصة رجال اسكتلنديارد ، وغمغم قائلا :

- أرجو الا أكون قد ازعجتك يامس جنجر ، لكنى موفد من قبل اسكتلانديارد للقيام ببعض تحريات رسمية .

وقال المراقب العام بدوره :

ـ إن المفتش راى يرغب فى الاطلاع على بيـان المحادثات التليفونية الخارجية والمحلية التى تمت هذا الصباح..وسأتركه معك لإتمام هذه المهمة

وانسحب المراقب ، بينما جلس المفتش راى فى مقعد بجانبها قائلا :

ـ لا أريد يا مس جنجر أن أفاجئك بما لا يستحب ، ولكن الموضوع متعلق بشخص استرالى وجد اليوم قتيلا فى أحد فنادق براين .

ـ هو ذاك .. إنه يدعى جيمس سبنس ..

فقال المفتش بدهشة :

ـ أنت مطلعة على تفاصيل القضية إذا ..؟

ـ إن صاحب الفندق اتصل من براين تليفونيـاً لمكالمة مسز سبنس فى سيدنى ، وقد تعين علينا أن نقوم بمهمة الترجمة ..

ـ مفهوم .. ألديك بيان بهذه المكالمة ؟.

ولما فطن المفتش إلى تحفظها أعقب قائلا :

ـ إنى أعلم سرية المحادثات التليفونية . لكنى مفوض تفويضاً شاملا الاطلاع على كل شيء ..

فأشارت ماريون بيديها الدقيقتين إلى مجموعة الأوراق التى كانت موضوعة أمامها قائلة :

ـ هذه بيانات شامـــلة لكافة المحادثات التليفونية المتصلة بمقتل جيمس سبنس .

فجعل المفتش راى يقلب نظره فى شيء من الحيرة بين مجموعة الأوراق وبين محيا الفتاة ، وقال بجفاء :

ـ أرى حماسة غير عادية فى التحرى والاستقصاء ؟

فهزت ماريون منكبيها قائلة :

ـ لامعدى لفتياتنا هنا عن الحصول على كثير من المعلومات فى قيامهن بالأعمال التليفونية .. ومن دأبنا إذا كنا نبحث عن شخص معين أن نجده حتما ، مادام على قيد الحياة ، وعن كثب من التليفون . .

ـ إذن فأنتن تقمن بدور البوليس السرى ! . .

ـ هذه طبيعة مهنتنا . .

وفجأة بدا للمفتش راى أن ينحو إلى الصراحة مع هذه الفتاة القديرة، فجعل يقول :

ـ أرى يامس جنجر أن جميع البيانات المتعلقة بهذه القضية قد اجتمعت لديك ، فمن الخير إذن أن أكشف لك عن غايتى بايجاز . . إن جيمس سبنس الاسترالى من المنقبين عن المعادن ، وقد وفق فى تنقيبه فى منطقة معينة باستراليا الغربية الى الكشف عن منجم زاخر بمادة ذات خصائص ثمينة . . .

فقالت ماريون :

ـ هى معدن « التوبلانيت » . . .

فاستطرد المفتش يقول وهو لايملك الاعتراض لما يرى من تمام احاطتها بالقضية :

ـ وأخص خصائص هذه المادة أنها اذا مزجت بالفولاذ أكسبته درجة فائقة من الصلابة . . وقد دلت التجارب على أن المدافع الكبيرة وخصوصاً البحرية ، تتأثر بإطلاق القذائف تأثراً ينال من قوة احتمالها حتى أنه لامفر من دوام تغيير بطانتها الداخلية مما يكلف نفقات باهظة . . فإذا أضيفت مادة « التويلانيت » الى الفولاذ بلغ احتمال تلك المدافع الضخمة ثلاثة أمثال متانتها بدونه .. هل تدركين مغزى كلامى يا مس جنجر؟.

كل الادراك . .

ـ وهكذا جاء جيمس سبنس من استراليا الى لندن وفى جعبته « عينات » من هذا المعدن النفيس . . وقد بدأ يعرض اكتشافه على وزارة البحرية البريطانية التى قدرت خطورة الاكتشاف واعتزمت اجراء تجارب فى صدده . . لكن جيمس سبنس رجل أعمال بارع ، وقرر أن يعرض معدنه النفيس الذى أيقن أنه لانظير له فى الدنيا بأسرها ، على الدولتين اللتين تتنازعان السيطرة البحرية فى العالم بريطانيا والولايات المتحدة .

فراحت ماريون تقول بجرأتها المعهودة :

ـ الآن أستطيع ان أقول أنى فهمت كل شيء . . لقد قتل جيمس سبنس بيد بدرو جونزالز الذى أراد الاستحواذ على هذا المعدن النفيس دولة غير أمريكا وانجلترا .

فقال المفتش راى وقد ازداد عجبا من جرأتها :

ـ لكن هل بدرو جونزالز هو القاتل ؟ .

ـ هذا ما لاأستطيع الجزم به .

ـ لكن من هو بدرو جونزالز ؟ . اننا لم نستطع تحديد شخصيته رغم طول البحث فى سجلاتنا .

فغمغمت ماريون قائلة :

ـ ان عندى الخبر اليقين . فقد تحريت أمره ، فلم أجده تابعا لوكالة أنباء هافاس فى مدريد . . وهو فى الحقيقة يعمل فى مكتب المخابرات الجاسوسية الدولى فى بروكسل .

ـ من أخبرك بهذا ؟ .

ـ انى سألت عنه والتر هيانز مبعوث وزارة البحريه الأمريكية الذى كان موفدا الى برلين لمقابلة جيمس سبنس، فوجدت اسم بدرو جونزالز معروفا لديه ، وقد اعترف لى بحقيقته .

فلم يتمالك المفتش أن جعل يقول لها فى اعجاب :

ـ لقد كنت حقا مثال الهمة والنشاط فى اتصالاتك التليفونية يا آنسة اذن فقد برح الخفاء . . وما دام هيانز قد أخبرك أن جوانزالز ينتمى الى مكتب الجاسوسية الدولى الذى يبيع الأسرار الحربية للدول التى تدفع السعر الأعلى ، فلاشك أن الأسبانى هو ضالتنا المنشودة .

وما كاد المفتش يتم كلماته حتى سمعت الرئيسة الزا تناديها ، ورأتها تلوح بقصاصة ورق فى يدها . فنهضت ماريون وقصدت الى الفتاة أمام لوحة برلين ، فبادرتها الزا تقول بانفعال :

ـ تلقيت رسالة تليفونية من شركة الطيران البريطانية فى كلونيا إلى نفس الشركة فى لندن ، ولم أهتم بها أول الامر ، حتى سمعت الآن اسم بدرو جونزالز !.

ـ بدرو جونزالز !؟

ـ اليك نص الرسالة

ولم تكن الرسالة تتضمن سوى أسماء ركاب الطائرة المسافرة من كلونيا بألمانيا الى لندن ، وكان بينهم بدرو جونزالز . فقالت الرئيسة :

ـ متى تمت هذه المكالمة يا الزا ؟

ـ منذ ربع ساعة . . ولم أستطع ابلاغك عنها لانهما كانت فى الحديث مع هذا الشاب الوسيم .

فتطلعت ماريون الى الساعة، فاذا هى قد جاوزت الثانية عشرة ظهراً فأسرعت بالعودة الى مكانها ، وفاجأت المفتش بقولها :

ـ لقد وجدنا بدرو جونزالز ! . .

ـ ماذا ؟ !

ووثب المفتش فى مجلسه من فرط المفاجأة ، فأجابت ماريون وهى تناوله القصاصة التى تلقتها من الزا :

ـ انه استقل الطائرة المسافرة من كلونيا الى لندن .

فهتف المهندس راى :

لابد من اخطار قطار « كرويدون » حالا ! . أيمكن ايصالى بالمطار ؟

لكن الرئيسة كانت أسبق منه الى طلب المطار ، بينما استطرد المفتش يقول :

- بوسعى أن أعرف الآن ماحدث فان جونزالز قتل سبنس واستولى على المعدن النفيس فى الحقيقة ، ثم استقل قطار الليل أو الطائرة الى كلونيا ومنها أدرك الطائرة الصباحية الى لندن . لكن لماذا اختار لندن ؟

وعندئذ قالت له ماريون وهى تقدم له التليفون :

- هاك مطار كرويدون .

وسرعان ماجعل المفتش يصدر لمحدثه الأوامر المتلاحقة ، ولكن لم تمض لحظة حتى تبخرت حماسته ، وقال فى النهاية وهو يضع السماعة ونظره معلق فى السماعة :

- سحقاً لهذا ! . لقد وصلت الطائرة الى المطار منذ ربع ساعة وتفرق ركابها . وقد استقل بدرو جونزالز سيارة أجرة بدلا من ركوب أوتوبيس المطار كالمعتاد .

فقالت الرئيسة :

- لكنه مايزال فى لندن . ولعله الآن فى أحد الفنادق

- لابد من تعقب سيارة الأجرة التى ركبها من المطار . أود أن أتصل الآن بادارة اسكتلنديارد .

- سأوصلك حالا . .

بيد أنها لم تكد تمد يدها الى التليفون حتى برق الضوء الأحمر فقالت ماريون فى السماعة :

ـ نعم ؟ . هنا مركز المواصلات التليفونية الخارجية .

فسمعت من يقول فى التليفون :

ـ أريد مكالمة مدينة سيدنى حالا .

ـ حسنا يا سيدى . . من المتكلم ؟

ـ اسمى سبنس . جيمس سبنس . فندق سافوى ، غرفة رقم ٢١٨ .

كانت مفاجأة صاعقة . بيد أن ماريون لم تتزلزل ، بل تذرعت بهدوئها التقليدى ، وقالت لمخاطبها :

ـ حسنا يا سيدى ، وما هو الرقم المطلوب فى سيدنى ؟

ـ ٤٨١٦ مسز جيمس سبنس

مسز جيمس سبنس .

رددت ماريون هذا الاسم بصوت مسموع وهى تصوب نظرة معنوية الى المفتش الذى انتفض فى مكانه ، ثم أردفت تقول لمخاطبها :

ـ سأوصلك ياسيدى بالرقم المطلوب فى سيدنى حالا .

ووضعت ماريون يدها على بوق التليفون والتفتت الى مابل قائلة :

ـ اطلبى مدينة سيدنى حالا ، مسز جيمس سبنس . فلبت الفتاة ، أما المفتش فقال: مامعنى هذا ؟. هو رجل مقيم بفندق سافوى ينعت نفسه باسم جيمس سبنس ويريد مكالمة مسز سبنس فى مدينة سيدنى !

فقال المفتش متحفزا وهو يمد يده الى قبعته : هذا ضالتى المنشودة ! هذا بدرو جونزالز يخادع ويموه بقصد الاستيلاء على منجم المعدن النفيس !

فقالت ماريون تشكك فى كلام المفتش : ان لهجة المتكلم استرالية قحة وربما كان جيمس سبنس بعينه !

ـ ان جيمس سبنس جثة هامدة مهشمة الوجه فى برلين، وبدرو جونزالز هو قاتله مافى هذا أدنى شك .

فقالت ماريون بهدوء :

ـ ألا يحتمل أن يكون قتيل برلين هو بيدرو جونزالز ؟ ، مهما يكن فان وجه القتيل قد تهشم وتشوه حتى استحال تمييز معالمه ، وكانت وسيلة الاستدلال الوحيدة على شخصيته هى البيجاما المخططة التى كان يرتديها عند اكتشاف الجثة. ان استبدال الزى وجواز السفر مسألة شائعة الحدوث!

فحماق المفتش فى وجه الفتاة ثم قال بتؤدة :

ـ لعلك غير بعيدة عن الصواب .

ـ بل هو الصواب بعينه .. لماذا لا تجلس هنا وتنصت إلى ما يقوله متكلم فندق سافوى إلى مسز سبنس فى مدينة سيدنى ؟ ..

وعاد المفتش إلى مقعده ...فناولته الرئيسة سماعة وضعها فوق أذنيه ، وانشأت ماريون تقول فى التليفون بعد أن أبلغتها مابل أن الاتصال قد تم مع مدينة سيدنى :

ـ فندق سافوى ؟ . مستر سبنس .. غرفة رقم ٢١٨ .. مستر جيمس سبنس ؟ .. كلم سيدنى ..

فسمع صوت المتكلم يقول :

ـ شكراً يا فتاتى ! .. هالو مادج ! .. مادج !

ـ جيمس !؟ لا يمكن أن يكون المتكلم أنت حقاً ؟! .
ـ بل هو أنا بشحمى ولحمى .. كيف حالك يا مادج ..
ـ لكنهم أبلغونى بموتك ! ..
واقترن صوت المتكلمة بالبكاء والنحيب . فجاوبها متكلم الفندق ضاحكا :
ـ ما أسرعهم فى النعيق ! .. ليس من السهل التخلص منى يامادج !
ـ لكن ما الذى حدث يا جيمس ؟ أواه ! ما أحلى سماع صوتك من جديد ! ..

انى اشتبكت فى قتال مع شخص لئيم بفندق برلين عقب وصولى إلى المدينة . فقد عرض على صفقة للمنجم لم تعجبنى .. فلما رفضت أخرج خنجره مهدداً .. فما كان منى إلا أن حطمت وجهه بحجر من « عينات » المعدن كان موضوعاً تحت يدى فوق الخوان .. وكانت ضربة قاضية أخمدت أنفاسه النجسة . . وبعـــد تفكير أيقنت ان براين لم تعد المكان الصالح لإجراء المفاوضات التى ذهبت إليها من أجلها ... وهكذا استوليت على جواز سفر الشقى الغادر ، وأبدلت ملابسه بملابسى ثم حملت الحقيبة وغادرت الفندق خفية من سلم الحريق ، وارتحلت عن برلين على الفور ! . .

ـ وأين أنت الآن يا جيمس ؟ ..
ـ فى فندق سافوى بلندن يا مادج .. وربما أطلت البقاء هنا .. إن كل الدلائل تبشر بأننا على أبواب ثروة طائلة .. خذى أول طائرة إلى لندن وتعالى إلى جانبى يا فتاتى العزيزة ! ..

ـ انى سأطير إليك طيرانا يا جيمس ! . أواه ! . ما أجمل سماع صوتك من جديد !

وانتهت المكالمة بضحكة مشتركة .

* * *

رفع المفتش راى السماعة عن أذنيه متنهدا . والتفت إلى ماريون قائلا :

ـ صدقت يامس جنجر .. هذا جيمس سبنس لا شك فيه .

ـ لقد أكدت لك أيها المفتش أن دأبنا إذا كنا نبحث عن شخص معين أن نجده حتما ، مادام على قيد الحياة ، وعن كثب من التليفون ! .

ـ لك حق فى هذا يامس جنجر ..

ثم أردف متنهداً :

ـ لم يبق سوى الاتصال بادارة بوليس برلين لابلاغها أننا لم نعثر فى سجلاتنا على أثر لكل من جيمس سبنس وبدرو جونزالز . إن إدارة مخابرات وزارة البحرية البريطانية سوف تصر على وقف القضية عند هذا الحد .

فقالت ماريون على الفور :

ـ الزا . اطلبى إدارة بوليس برلين .

فقال المفتش راى بلهجة أدهشت الرئيسة :

ـ لست متعجلا لإتمام هذه المكالمة .

فقامت الزا من مكانها لدى لوحة برلين وهى تصوب إلى المفتش إحدى ابتساماتها الفاتكة :

- كما تشاء ياسيدى !.

لكن المفتش لم يستجب لابتسامة الفتاة، فقد كان يرمق ماريون وحدها بجماع نظراته وهو مأخوذ بما رأى من تورد محياها والتماع عينيها. وفجأة قال لها :

- هلا تناولت العشاء معى هذه الليلة ياءس جنجر ؟. انى أعرف مطعما فريداً فى حى سوهو.

فتطلعت إليه ماريون قائلة :

- ليس أحب إلى من هذا .. انى أفرغ من عملى فى تمام الساعة السابعة.

فقال المفتش :

- إذن سأقابلك فى الساعة الثامنة . إن قلبى يحدثنى أننا ان نفترق بعد الآن.

وفى هذه اللحظة جاء صوت إلزا بتموج قائلا :

- برلين على الخط !.

فرفع المفتش السماعة وأنشأ يتم محادثته الاخيرة فى القضية، وفى خلال ذلك لم تفترق نظراته عن نظرات ماريون وقد سرى بينهما اتصال روحى وحد بين قلبيهما الفتيين إلى الأبد.

على قبر المرحوم

قصة أمريكية بقلم أروين شو

ما برح جرس التليفون يرن رنينا متصلا فى مخدع النوم الأنيق الذى تخللته أشعة شمس الضحى حتى تململت (هيلين) فى فراشها الوثير، ثم بسطت يدها ومازال النوم يداعب جفنيها فتناولت السماعة ووضعتها على أذنها فى فتور وإعيـــاء، فطرق سمعها عبر الأسلاك صوت بكاء ونحيب لم تحفل بهما حين عرفت مصدرهما . .

كان المتكلم والدتها مدام (ريسكى) ، وبعد أن فرغت كلتاهما من تبادل عبارات السلام المعهودة والسؤال عن الصحة قالت هيلين فى استياءة وضنى وهى تتمطى مغمضة العينين تحت الغطاء الحريرى :

ـ كم الساعة الآن يا أماه ؟ . .

فلما جاءها الجواب بأنها التاسعة . . قالت منزعجة :

ـ وكيف توقظينى فى مثل هذه الساعة المبكرة .

فأجابته مدام (ريسكى) باكية :

ـ كنت وأنا فى سنك استيقظ فى السادسة وأظل أعمل وأكدح أن

المرأة فى سن الخامسة والثلاثين لا ينبغى أن تفنى عمرها فى النوم !..

فقالت هيلين محتجة :

ـ لم أراك تصرين دائما على أننى فى الخامسة والثلاثين ؟.. إننى فى الثالثة والثلاثين !.. وهذا ما يجب أن تذكريه على الدوام !

فما كان من مدام (ريسكى) إلا أن قالت ببرود من خلال دمعها المنساب .

ـ أظننى أعلم عن هذا أكثر مما تعلمين !

وأخيراً لم تملك هيلين إلا أن تفتح عينيها فى جهد وتتطلع إلى سقف الغرفة الذى وخطته أشعة الشمس ، وقالت لأمها :

ـ ماذا يبكيك يا أماه ؟ .

فازداد البكاء والنحيب من خلال أسلاك التليفون حتى اضطرت هيلين أن تكرر سؤالها فأجابت الأم أخيرا:

ـ لابد من ذهابى إلى قبر المرحوم والدك .. تعالى الآن بسيارتك لنزوره معا ..

فزفرت هيلين قائلة : إنى مرتبطة اليوم يا أماه بثلاثة مواعيد هامة

فقالت مدام ريسكى بصوت متخافت كالفحيح :

ـ ابنتى تأبى اصطحاب أمها لزيارة قبر أبيها ؟ !؟ ..

فقالت هيلين مبتهلة : ألا يمكن أن نزوره غدا ؟ .

فارتفع صوت الأم يجلجل كما جلجل من قبل فوق المسرح :

ـ اليوم لاسواه ! .. إنى استيقظت من منامى اليوم على صوت هاتف يقول لى: « اذهبى إلى قبر ابراهام ! . . اذهبى إلى قبر زوجك »

فقالت هيلين برقة إن المرحوم والدى توفى منذ خمسة عشر عاما . . فما ضره لو ارجئت الزيارة يوما واحدا ؟

فقالت مدام (ريسكى) بلهجة مؤثرة :

ـ لا بأس يا بنيتى .. معذرة لأنى ضايقتك اذهبى إلى مواعيدك اذهبى إلى صالون التجميل ! . اذهبى إلى حفلاتك الساهرة ؟ أما أنا فسوف أركب المترو إلى قبر والدك ! . .

فقالت هيلين فى النهاية وقد أغمضت عينيها يأسا :

ـ سأكون عندك يا أماه بعد ساعة

دلفت مدام (ريسكى) إلى سيارة هيلين مغرقة فى زينتها مبالغة فى أناقتها ، حتى لينكر من يراها أنها جاوزت السبعين ، وقالت وهى تجيل نظرها فى السيارة بازدراء ظاهر :

ـ ما أبدعها من سيارة تزاربها قبور الموتى ! . . هناك رجل عظيم جليل ثاو فى مرقده الابدى ، وأقرباؤه يقصدون إلى قبره فى سيارة (سبور) زاهية اللون !

فقالت هيلين وهى تلوى مقود السيارة ببراعة :

ـ إنها السيارة الوحيدة التى أملكها يا أماه . . ومن حسن حظى أن الدائنين لم يجردونى منها حتى الآن ..

فقالت مدام (ريسكى) وهى ترمق فتاتها ببرود لاذع :

ـ ألم أحذرك من قبل زوجك ؟ . . ألم أقل لك أنه لا يصلح زوجا لك ؟ . وقد لمست النتيجة بنفسك ، وها أنت تعدين نفسك سعيدة إذ تنالين بعد طلاقك منه نفقة لا تكفى مطالبك .

ولما تقبلت هيلين هذا التأنيب بالتسليم والامتثال ، راحت مدام (ريسكى) تلوح بيديها فى عنف قائلة :

ـ والمسرح ؟ . لماذا هجرت المسرح هذا الموسم ؟

فهزت هيلين منكبيها قائلة :

ـ لأن الدور المناسب لم يعرض على بعد . .

فضحكت مدام (ريسكى) ببرود وقالت :

ـ الدور المناسب ؟ . . لقد كنا فى عهد اشتغالى بالمسرح نمثل سبع روايات فى العام دون نظر لما تسمينه الدور المناسب !

فهزت هيلين رأسها قائلة :

ـ هناك فرق ملحوظ بين الماضى والحاضر يا أماه .. فالزمن يتطور وأساليب الحياة فى كل شىء وكل فن تتغير .

وإذا مدام (ريسكى) ترفع عقيرتها قائلة :

ـ كانت أيامنا أزهى الأيام ، ومسرحنا أزهر المسارح .. كان شعارنا هو العمل الدائب المتصل كان الممثل يعمل . والمؤلف يكتب . والجمهور يواظب على الحضور .. أما الآن ، فلا شيء غير السينما .. فوارحمتاه على الماضى !

وبلغنا المدافن آخر الأمر .. ولما أشرفنا على القبر المنيف استوقفت الأم فتاتها فجأة على قيد مسافة يسيرة قائلة فى رهبة وروع !

ـ إبقى أنت هنا .. سألم بالقبر وحدى أولا ... أريد أن أخلو إلى نفسى .. وسوف أستدعيك فى الوقت المناسب .

وسارت إلى القبر تضم إلى صدرها باقة أزهار الكريزانتيم التى جاءت بها وكأنها عروس تحمل باقة الزفاف ، بينما جلست هيلين فوق مقعد مرمرى وأشاحت بوجهها ..

ودنت مدام (ريسكى) من قبر زوجها ساكنة الملامح مطبقة الشفتين جثت فوق القبر فى رشاقة ووضعت أزهار الكريزانتيم فوق أحجاره الجرانيت فى نظام تستريح إليه العين ، ثم استقامت ونزعت قفازيها وتكلمت أخيراً .

ـ ابراهام ! .. أعرنى سمعك يا ابراهام ! .

وتنهدت من أعماقها ، وتخطت بناظريها القبر المشيد ، وأستطردت تقول بصوت امتلأ هذه المرة بنبرات الشكوى :

ـ ساعدنى يا ابراهام ، فإنى فى هم مقيم . إن مصابى الأكبر هو المال ، ولا شيء غير المال ! . . لقد كنت تربح طول حياتك ما لا يقل عن ألف وخمسمائة دولار كل أسبوع ، وهم الآن يطالبوننى بإيجار البيت ، ويشتدون فى المطالبة والإلحاح ! .

وزمت شفتيها فى ازدراء بالغ حين تذكرت أولئك العتاة الذين يقفون ببابها فى مطالع الشهور لتحصيل الإيجار ، واستطردت تقول :

ـ كنت يا ابراهام طيلة حياتك تمتلك المركبات الفاخرة والجياد وكنت أينما ذهبت يقال هذا (ابراهام ريسكى) !. وكنت إذا جلست إلى مائدة الطعام حف بك من حول مائدتك كثيرون ؟ وقد انجبت لك من البنات خمساً والله يعلم كم غيرهن انجبت من غيرى ، وما منهن إلا من كانت منذ نعومة أظفارها ترتدى أزياءها من باريس ! . ومن البنين جئتك بستة أشبال ! . . وكنت يا ابراهام تتناول طعامك فى أفخر مطاعم نيويورك ولندن وباريس وبودابست وفيينا وبرلين ووارسو وريودى جانيرو ، وقد احتوى جوفك من الطعام مالم يتهيأ لرجل سواك على ظهر هذه البسيطة وكنت تهدى عشيقاتك الماس واللآلىء كنت أشبه بالملوك . فانظر الآن حالى أنا زوجتك التى كتب عليها أن تعيش من بعدك ، ولا أمتلك حتى إيجار البيت ! .

ودنت مدام (ريسكى) من حافة القبر ، وأردفت تخاطب زوجها مواجهة بقولها :

ـ أجل ! . لقد عشت حياتك أقرب إلى الملوك ، حتى فارقت الدنيا وكان لك فى شيخوختك أخصائى من النمسا ونطس من الأطباء وممرضون يرعونك فى الثالثة والسبعين ومباذل الهوى فلما استوفيت الأجل ، ووريت التراب فى أبهة الملوك ، جعلوا لك قبرا شامخاً ، وسير بجثمانك فى موكب حافل حاشد . وأنا زوجتك ؟ . هأنذا منبوذة منسية ، زال عنى كل شىء من متاع الحياة ، فالمال ولى ، والمسرح اندثر ، وشريك العمر قضى . ولم يبق من هذا كله إلا شىء واحد ، الأولاد ! .

واختصت مدام (ريسكى) زوجها بابتسامة باردة ، ومضت تقول :

ـ والأولاد ! . . إنهم صـــورة طبق الأصل لأبيهم . أنانيون ، لا يفكرون إلا فى أنفسهم . إنهم نكبة وكارثة ، ككل شىء فى هذه الدنيا منهم من تتسقط من زوجها نفقة هى أقرب إلى إحسان ! . وليس بينهم من يستثمر المـال . . وكلما تعاقبت الأيام دب إلى الكبر وعز النصير ولا ينقضى أسبوع حتى تطالعنى الخياطة بوجهها الـكالح ثلاث مرات تطالب بمتأخر الحساب ! . ماذا جنيت حتى يكون هذا مصيرى ؟

وللمرة الثانية ارتفع صوت مدام (ريسكى) داويا مجلجلا فى رحاب المدافن الساكنة ، فراحت تقول :

ـ كيف يكون هذا مصيرى يا ابراهام وأنا التى افنيت العمر أكدح

من أجلك كالعبيد الأرقاء ؟ كنت أنهض من نومى قبل مطلع الشمس ، وكنت أؤجر المسارح وكنت اناضل المؤلفين وأقسو فى المساومة ،وكنت أختار لك الادوار وأرتب المناظر ! . لقد علمتك التمثيل يا ابراهام ، وخلقت منك (الممثل العظيم) الذى نعتوه باسم (هاملت العصر)ورددوا اسمه فى القارات الخمس وكانت النساء تتزاحم من حولك وتقتتل من أجلك فى غرفة (الماكياج) ! . لقد كنت هاويا ناشئاً قبل ما علمتك وصقلتك لقد جعلت منك فناناً عظيما وفيما بين ذلك كله كنت اضطلع إلى جانبك بدور البطلة كما لم توفق إليه أبرع الممثلات الموهوبات على خشبة المسرح وكنت أنجب لك مولوداً كل عامين على صورة من الانتظام تحسدنى عليها النساء ! .

ثم استحال صوتها إلى حد الهمس وهى تقول :

ـ لقد منحتك من حبي أكثر مما كنت أستحق ، فكان جزائى أن تركتنى وحيدة مـدى خمسة عشر عاما ، وهاهم يشتطون فى مطالبتى بإيجار البيت ! .

وإذا هى تجلس أمام القبر فوق العشب وتهمس قائلة :

ـ العون العون يا ابراهام ! .. لك حسنة واحدة أحمدها لك وأشيد بها ، فقد عودتنى ألا تلم بى ورطة أو يحل بى كرب إلا لذت بك ووليت وجهى اليك .. فكن عند حسن ظنى بك يا ابراهام ، وابسط إلى عونك المأثور ؟ ..

وأخلدت إلى الصمت وقد اعتمدت بيديها فوق الحشائش المبسوطة وما لبثت أن هزت منكبيها واستوت قائمة وقد شاع الهدوء فى محياها وسرت إليها السكينة وثابت إليها الثقة والاعتداد .. وإذ ذاك أشاحت عن القبر ، وهتفت بفتاتها تدعوها إلى جانبها وقد آذنت خلوتها العجيبة بالنهاية ، فلبت هيلين ممتثلة .

وهل كانت هيلين المسكينة تملك أمام هذه الأم العاتية والزوجة المتسلطة غير التسليم ؟

قناع ميدوزا

للكاتب الامريكى : نلسون باند

لم يكن مظهر الحانوت القاتم المغبر مما يستهوى النفس أو يغرى بالدخول اليه . . ولكن هذه العوامل المنفرة كانت كافية لاجتذاب (ميلو شانر) إلى المكان ثم إن باب الحانوت كان منفرجا . . : وفى هذا سبب جديد للاستهواء والاستدراج . . . بل أبلغ من هذا كله أن (ميلو شانر) كان نهازاً للفرص ، يؤمن بأن الانسان إذا أدركته العاصفة ، فهو فى حل من الالتجاء إلى أى مكان يجـــد فيه الحمى والملاذ . . وإذا كانت نذر العاصفة تتجمع فى أعقابه ، فلم يكن أمامه مجـال للمفاضلة والاختيار ، ومن ثم لم يتردد فى الدخول . . .

والواقع أن (ميلو شانر) فى فراره من وجه العدالة لم يكد يلتفت إلى اللوحة المعلقة على باب الحانوت وهى تضم هذا الشعار الغريب :

بل دلف (شانر) إلى الداخل وهو لايكاد يبصر شيئاً فى الضوء الحسير المرسل من مصابيح كهربائية علاها العنكبوت . . . حتى إذا ألفت عيناه الضوء ، تملكته رعدة قوية ، فان هذا المكان الذى حسبه خاوياً وظن أنه وجد فيه مأمنا ، إذا هو عامر بأشباح جاثمة أشد خطراً من هذا الخطر الذى جاء يسعى للفرار منه . . .

جمد (شانر) فى مكانه لحظة وقد تملكه الذعر والجزع .. ثم انقلب فزعه سخطا حين قدر أنه قد وقع فى الشرك على هذا النحو طائعاً مختاراً وقد بذل مابذل فى سبيل إحكام إفلاته وتأمين هربه ، وها هى ذى جيوبه المنتفخة بالأوراق المالية أفصح شاهد على جريمته ، وهو لايجهل العقوبة الجسيمة التى تنتظر من كان خاطفاً ، وقاتلا ! . . .

والحق أن هذا الوهم قد تسلط على نفس (شانر) حتى لقد كاديهم بالصياح والاستعطاف ، لولا أنه مالبث أن آنس أن هذه الأشباح ساكنة جامدة لاتتكلم ولاتتململ . . وسرعان ماسطعت الحقيقة أمام عينيه . . . وإذا هو يضحك ضحكة عالية كان لها رجع ودوى فى هذا السكون الشامل . . . فقد أدرك أن هذه الأشباح ليست سوى مجموعة من تماثيل الشمع لاحراك بها ولاحياة ، وأنه فى التماسه أسباب الفرار من وجه العدالة قد طرق هذا المتحف الفريد ! . .

وأنه لكذلك إذ سمع صوتاً هادئاً يبادره بهذه الكلمات :

ــ هل تضحكك تماثيلى ياسيدى ؟ .

ففزع (شانر) من جديد . . والتفت فرأى المتكلم رجلا قصيراً عن كثب منه . . . فتمالك بعد فرق وانزعاج، وأجاب فى صدق وصراحة:

ـ إنما هو ضحك الفرح والاطمئنان لا ضحك التهكم والاستهزاء .. والواقع أن هذه التماثيل قد أفزعتنى أول الأمر ، إذ حسبت أنها أشباح أحياء . فإنها تكاد تنطق بالحياة ! .

فقال الرجل وقد لمعت عيناه خلف نظارته السميكة بضوء غريب ما لبث أن انطفأ كما جاء :

ـ صدقت . فإنها حقاً تكاد تنطق بالحياة ..

فقال (شانر) وقد قرر أن ينتهز الفرصة لاستمالة الرجل إلى جانبه والاستعانة به فى إتمام هربه من وجه البوليس :

ـ الواقع أنه ليس كل مثال يوفق إلى شىء كهذا . وعندى أنك (فنان) حقيقى ..

فمس هذا الإطراء من نفس الرجل الضئيل القصير وتراً حساسا حتى لاح عليه الارتباك ، ثم قال وقد أعرب عن شكره :

ـ أتحب أن أفرجك على سائر التحف ؟

ـ أولا ترى أن هذا يضايقك يامستر (كافنديش) ؟

ـ يضايقنى ؟ ! . كلا البتة . بل هو من دواعى سرورى .

فقال (شانر) إمعاناً فى إحكام الخطة .

ـ إنه ليطيب لى أن أرى التحف بعين فنان مثلك لكن ألا ترى أنى سأعوقك على الانصراف ، وقد حل موعد إغلاق المتحف ؟ ،

فكان جواب (كافنديش) أن سار إلى الباب فأغلقه وجذب الستائر السميكة خلفه قائلا :

ـ الآن لن يضايقنا أحد . تفضل معى .

ابتسم (شانر) . فقد كانت الخطة تنضج على أحسن مايرام . والآن وقد ظلل الباب الزجاجى بالستائر الكثيفة فلن يفكر البوليس فى تفتيش هذا المكان بحثا عنه .. ولم تبق أمامه الآن سوى معضلة واحدة . هى كيفية الابتعاد عن هذه المنطقة كلها وفى جيوبه الفدية المالية الجزيلة التى استولى عليها ثمناً لضحيته . لكن لكل شىء وقته . وما دام هو أبرع نهاز للفرص ، فإن الفرصة ستسنح حتما ، وسيعرف كيف ينتهزها !.

وكذلك تبع المثال . ولبث نصف ساعة يطوف معه بين نماذجه المروعة التى امتلأت بها الصالة ويصغى مأخوذا إلى بياناته عنها .

فهذا تمثال (روجر ساندز) الذى قتل بالسم شقيقه وزوجته ووحيدهما لكى يرث عنه مناجم الفحم التى يمتلكها

وهذا تمثال (نيكولاس رودريجيز) المجرم الأخصائى فى الطعن بالخنجر الذى لاعداد لضحاياه ..

وهذا . وهذا . ألخ . وكلها جميعاً تفصح عن إجرام أصحابها ، لقد آمن الزائر فى قرارة نفسه أن هذا المثال قد برع كل البراعة فى فنه الفريد .

وقال له (كافنديش) ووجهه يفيض بشراً :

- والآن إليك هذا النموذج الذى سيعجبك حقاً . فقد كان لصاحبه أسلوب فريد فى القتل . إذ كان يحقن ضحاياه (بالفقاقيع الهوائية) ، وهى طريقة غريبة أحسبك لم تسمع بها . وبالنظر إلى أنه كان طبيباً فإنه لم يكن يجد صعوبة مافى ذلك .

فقال (شانر) فى شيء من الحدة :

ـ أهو قاتل آخر ؟ هل تحفك كلها تماثيل قتلة ؟

فأجاب المثال الضئيل القصير فى برود :

ـ طبعاً . ألم تعرف هذا ؟ إنها رسالتى .

ـ رسالتك ؟

فهتف الفنان فى قسوة لم يحسب (شانر) أن هذا الرجل الضعيف يطوى ضلوعه على مثلها :

ـ إن القتل يا سيدى هو أبشع ألوان الجريمة ! وإنى لأمقت القتلة بكل جوارحى ! إن (رسالتى) فى الحياة هى أن أصور للناس هؤلاء الوحوش البشرية فى أبشع صورهم وأشنعها ، حتى يروهم على حقيقتهم، وحتى يفزعوا منهم ، ويحذروهم !

ـ لكن .

فمضى (كافنديش) يقول فى حماسته الغريبة وعيناه تقدحان شرراً :

ـ وإنها لرسالة مقدسة لن أتخلى عنها حتى أطهر الدنيا من القتلة الأوغاد ! .

فقال (شانر) :

ـ لكن هناك أنواع أخرى من الجرائم ، وفى متحف كهذا كان يحسن أن .

فقاطعه الفنان وهو يقول فى صرامة :

لكن القتل هو أشر أنواع الجرائم ، وهو ما ينبغى محاربته فى غير هوادة . أهناك ياسيدى ماهو أفظع من إخماد الحيـــاة البشرية والقضاء عليها ؟.

لم يجد (شانر) سبيلا إلى مجادلة هذا الرجل الذى كان مصابا بلون من الهوس لا سبيل إلى زحزحته عنه . فآثر أن يطرق بالحديث بابا آخر . فقال متلطفاً :

ـ أنت على حق ولا ريب . أن
لكن (كافنديش) قاطعه مردداً كلامه السابق :

ـ إنها رسالتى المقدسة ! . وهناك الآن مجرم يهمنى أن أضيفه إلى مجموعة التحف الفنية هنا . وقد كنت أستمع الى تفاصيل سيرته الاجرامية قبيل مجيئك . عن طريق الراديو طبعا . والواقع أن تاريخ الاجرام لم يسجل فى صفحاته أسود من سيرة هذا المجرم ، وهو ياسيدى قد اختطف أولا ضحيته البريئة ، ثم قتلها بوحشية منقطعة النظير .

فقال (شانر) بصوت أجش غليظ :

ـ تقول الراديو ؟.

فأومأ (كافنديش) إيجابا ، ثم أردف :

وبعد أن قضى هذا السفاك على ضحيته، استولى على الفدية المالية التى عرضها الأبوان الملهوفان عن طفلهما المنكود ـ فعل هذا بكل نذالة وكأن الطفل مايزال على قيد الحياة : مع أنه أخذ أنفاسه دون أن تأخذه

فى الطفل ولا فى أبويه أدنى رحمة . . يالها من جريمة شنعاء يا سيدى ! . .
ويا لهذه الخسة .

وكان (شانر) يسمع هذا الكلام وقد استحال جو الصالة البارد حاراً خانقاً وسال العرق على جبينه وجف لسانه وتصلب . . وما لبث أن قال متلعثما :

ـ وهل . هل قبضوا على هذا الجانى ؟ .

ـ لم يقبضوا عليه بعد .

ثم أردف الفنان الضئيل فى طمأنينة غريبة .

ـ لكنهم سيقبضون عليه حتما، فانه يحمل الفدية المالية. وهى خمسون ألف ريال بالعملة الورقية الجديدة ، ومازالت ملفوفة بغلاف البنك .

فقال (شانر) فى تؤدة :

ـ فهمت . إذن فان الأوراق المالية معروفة أرقامها ؟ . ومتى حاول أن يصرف بعضها .

فتولى (كانديش) اتمام الجملة باسما فى لهجة اليقين :

ـ قبضوا عليه حتما .

ثم أردف وقد زادت ابتسامته استعراضا وصرامة .

ـ وإذا لم يوفقوا إلى القبض عليه . قبضت أنا عليه !

فهتف (شانر) : انت ؟! انت ؟!.

على أن (كانديش) لم يلبث أن ساوره قلق مفاجىء وزال عنه غضبه واحتدامه وانحاز الى تغيير موضوع الحديث قائلا :

ـ معذرة ياسيدى ، لاتلق بالك الى ماقلت فانى ولاريب قداندفعت مع شعورى ، وهذا موطن الضعف فى أخلاقى لقد كنا نتفرج على هذا التمثال . أليس كذلك ؟

فاومأ (شانر) ايجابا وقد سرى عنه لتغيير موضوع الحديث . بينا مضى (شانر) يقول :

ـ إنها لقصة غريبة حقاً ، قصة هذا الطبيب الذى كان يقضى على ضحاياه بحقنهم بالفقاقيع الهوائية . ولا ريب أن مركز رجل مثل الدكتور (هارتويل) فى المجتمع كان يمكنه بسهولة من .. فهتف (شانر) :
(هارتويل) ؟ ! قلت الدكتور (هارتويل) ؟

ـ نعم ولماذا ؟ .

ـ لأن الدكتور (هارتويل) الذى أرى تمثاله أمامى لم يقبض عليه قط ! .. إنى أذكر الآن أنى قرأت عن هذه القضية بل أنهم لم يجدوا له أقل أثر ، لانهم لم يستطيعوا التعرف على شخصيته .. ولم يوفق البوليس إلى العثور على صورة واحدة له لكى يتمكن من مطاردته واعتقاله ! ..

فلما سمع (كافنديش) هذا الكلام تململ فى موقفه مرتبكا مضطربا وقال ويداه ترتعشان :

ـ أعتقد أنك على حق فيما تقول ياسيدى .. لكن ..

فقال (شانر) وقد بدأت الحقيقة تتجلى له :

ـ لكنك رغم هذه الحقائق التي ذكرتها لك عن الدكتور (هارتويل) قد صنعت له صورة فيها كافة الملامح والتفاصيل .. فقل لي يا (كافنديش) من أين جئت بالأوصاف التي نقلت عنها هذا التمثال ؟ .

فهتف الرجل القصير قائلا :

ـ لا .. لا أتذكر .. لابد أنى رأيتها فى مكان ما ؟ .

ـ ليس هذا من الحقيقة فى شيء يا (كافنديش) ..

ـ حسنا . انى . انى فنان . ولى أساليبي الخاصة .

فقال (شانر) بلهجة ذات مغزى :

ـ نعم . أنت فنان . فى التماثيل الشمعية . ولك أساليبك ، القائمة على العجينة والشمع والفرش ، لكن خبرنى يا (كافنديش) ، قل الحقيقة ! هل هذا التمثال الذى يكاد ينطق بالحياة ، هو نموذج للدكتور (هارتويل) ؟ أم هو الدكتور هارتويل ذاته ؟

فأومأ (كافنديش) بيديه فى يأس وقد نزع عن كل انكار ، وأجاب فى خضوع ومسكنه :

ـ نعم . إن هذا التمثال هو . . الدكتور (هارتويل) نفسه ..

فضحك (شانر) ضحكة فيها من الاضطراب والجنون حظ غير يسير .. فقد ألفى هذا (القديس) الذى يبشر بمقت الجريمة ، أستاذاً بارعا فى فن الجريمة ذاتها ! ؟ ألفاه سفاكا يعمل بوحى (رسالته) ، وما رسالته الا قتل أنداده فى الاجرام ، وعرض جثثهم بعد تنميق معالمها ، على أنظار الجمهور ؟ ! .

وقال (كافنديش) محتجاً : لكن لايجب أن تضحك ياسيدى .. فإنك لاتفهم ..

- بل فهمت الكثير .. والكثير ..

فاه (شانر) بهذه العبارة وقد تبدلت حالته وعاد إلى عالم الحقيقة . فهو نهاز للفرص كما رأينا ، وهو قد وجد فى هذا التطور مايضع حداً لكافة متاعبه .. إذ لاريب أن (كافنديش) سيكون الآن حليفه ونصيره فى إدراك سبيل الهرب والنجاة ، لا لأن (شانر) سيكتسب وده باطراء فنه ، بل لأن (كافنديش) سيضطر إلى هـــذه المساعدة اضطرارا .. والواقع أن كليهما قد بات يشهر سيفاً فى وجه صاحبه ، لكن سيف (شانر) كان أحد واقطع ..

وكذلك راح يردد كلامه قائلا :

- بل فهمت الكثير أيها الشقى ! .. أتقول أنك تمقت الجريمة حقاً؟ أتزعم أنك نصير البشرية وحامى حمى الانسانية ، وهذا سجل اجرامك حافل بأشخاص ضحاياك التسعة عشر ؟.

- بل انى للبشرية خير نصير .. انى ..

وكيف قتلتهم ؟.. بالمسدس ؟.. أم بالخنجر ؟. أم باغراقهم أحياء فى شمعك المنصهر ؟

فتنهد الفنان قائلا ! أنت مخطىء فى تصوراتك ياسيدى .. انى أردت أن أفسر لك ، لكنك لم تشأ أن تصغى الى .. انى لم أقتلهم ..

فقال (شانر) ساخراً : لعلهم إذن قتلوا أنفسهم !!

فأومأ (كافنديش) إيجابا : هو ذاك ياسيدى .. هـذا ماحدث لهم بالضبط أنهم قتلوا أنفسهم .. بالنظر ..

- بالنظر ؟! . بالنظر إلى ماذا ، بحق الرحمن ؟! .

فقال الرجل وهو يحدق فى عينى (شانر) متردداً :

- هل سمعت عن (راس ميدوزا) ؟ .

فأخذ (شانر) يحملق فى وجه الفنان وهو يبتعث فى ذاكرته معلومات غائمة مبهمة ، وما لبث أن قال :

- (ميدوزا) ؟ .. يخيل الى أنى أتذكر هذا الاسم . أليس هو اسم وحش من وحوش الأساطير التاريخية ؟

فقال (كافنديش) وقد دبت فيه حماسة غريبة .

- لم تكن (ميدوزا) من الأساطير والخرافات . بل لقد عاشت حقا فى عصور ماقبل التاريخ . . عاشت فى عصور بعيدة عن عالمنا كل البعد ، حتى ليتعذر علينا أن نسجل على وجه اليقين مغامراتها المروعة وفظائعها ، وأن نذكر تماما قصة البطل تيسوس) الذى ذبحها .

فتولى (شانر) إتمـام القصة وقد تذكر الان تفاصيلها !

- ذبحها وهى تتفرج على صورتها فى درعه المصقولة ، لأن مجرد النظر إلى وجهها كان يجلب الموت ! . نعم أنى تذكرت الان . فقد كان وجه (ميدوزا) مخيفاً، بشعاً ، فظيعاً ، شنيعاً ، مروعا ، حتى كان مجرد النظر اليه ، يجرد الناس من الحياة ، ويحيلهم جماداً ! . .

وراح (شانر) يجيل نظره فى التماثيل الجامدة القائمة حوله وهو يختتم

كلماته .. بيد أنه مع ذلك لم يكد يؤمن بإمكان وقوع شيء كهذا الذى ردّدته ألفاظه ، والفاه أدخل فى باب المستحيلات، وأقرب إلى الخوارق والمعجزات !.

أما (كافنديش) فقد أمن على كلامه قائلا !

ـ هو ذاك ياسيدى .. لقد وقع لأصحاب هذه التماثيل مثلما قلت ..

فلم يتمالك (شانز) أن هتف قائلا ! لكن هذا جنون ! . أن (ميدوزا) وأمثالها لم تكن إلا من خرافات الأولين وأساطير ماقبل التاريخ ! . ولعلها كانت تمثل إحدى خوارق الطبيعة الغامضة التى كانوا يعجزون عن فهمها وتفسيرها ! .. أو لعلها وأمثالها كانت من قبيل المخلوقات الوحشية الغريبة الشاذة التى كان بمجرد النظر إلى سحنها الفظيعة يجمد الدم فى الأطراف .. أما أن يحيل الانسان إلى جماد . فهذا مستحيل !.

فقال الفنان القصيرفى هدوء ! ألا تمانع فى النظر إلى قناع (ميدوزا) ؟

ـ ماذا تعنى ؟ .

ـ أنه هنا . . إنى عثرت عليه ، منذ عهد بعيد ، فى كهوف بلاد الأغريق (اليونان) .. أما كيف وأين عثرت عليه . فليس هذا الان موضوع الحديث لكنه عندى . وقد كان وسيلتى فى اتمام (رسالتى) المقدسة التى حدثتك عنها . أعنى القضاء على القتلة الذين يسفكون دماء أخوانهم فى الانسانية ، وتطهير العالم !!

❋ ❋ ❋

على أن (شانز) لم يلبث أن تخلص من هذا التأثير الجنونى الذى كاد الفنان الضئيل يبثه فى نفسه بكلماته الغريبة وبنظراته الملتهبة المحمومة حتى

أوشك أن يصدقه وأن يشاطرة جنونه وهذيانه .. فضحك فجأة وقال له فى ايجاز !

- لابأس يا (كافنديش) . كفى تهريجا . ولنتكلم بصراحة . .

— أنى لا أفهم ماترمى اليه ياسيدى ؟ .

فقال (شانر) على الفور : إذا تركنا جانباً خزعبلات (ميدوزا) ، فيكون الواقع أنك قاتل سفاك دماء . . وكلانا الآن يعرف هذه الحقيقة ويقرها . . أنت مصاب بجنة تقول عنها تطهير الدنيا من القتلة ! . . وقد استطعت على نحوما أن تكدس فىمتحفك هذا الرهيب مجموعة (فظيعة) من ضحاياك ! . .

فاعترض (كافنديش) قائلا : انى لم أقتلهم ! .. بل قلت لك أنهم قتلوا أنفسهم . .

— نعم . . نعم .. قتلوا أنفسهمبالنظر والتحديق !! أليس كذلك؟.. لابأس . . لك أن تصر على قصتك هذه إذا شئت . . لكنى لا أعتقد أنك تريد أن يزورك رجال البوليس هنا ويفحصوا تماثيلك الجامدة . . ألا ترى هذا الرأى ؟ .

فراح (كافنديش) يقول متلعثما : إنى . . إنى . . ما الذى ترمى اليه ؟ . . ماذا تريد منى ؟ . .

فأجاب (شانر) : أريد مساعدتك لى فى الخروج من هذه البلدة ..

أه . . لاتخف يا (كافنديش) ولا تفزع ! . . كن صريحاً صادقاً معى ، فلا يلحقك أدنى أذى . . انى لا أحب رجال البوليس كما أنك لا تحبهم سواء بسواء . . وهذا هو سبب وجودى عندك هذه الليلة . . بل هذا سبب رغبتى فى الخروج من هذه البلدة . .

والواقع يا (كافنديش) أنك تستطيع مساعدتى . . فانت من رجال الأعمال ، بعيد عن كل شبهة . . وأنت تستطيع أن تحزم أحد تماثيلك وتنقله إلى حيث شئت فى مركبة . . فاذا فرضنا أنى سأكون هذا (التمثال) الذى ستنقله ، وتماثيلك رائعة قريبة الشبة بالأحياء ، فلاريب أنك تفهم قصدى . .

فقال الفنان الضئيل بلهجة غريبة :

— أنت ؟ . . أنت أيضاً تخاف البوليس . . أنت أيضاً . . قاتل ؟ . .

فأجاب (شانر) بحدة : أنا لم أقل هذا . . بل قلت انى فى ورطة ومحتاج إلى مساعدتك . . فما قولك ؟ . .

فقال (كافنديش) : لابد لهذا من مال . فانه سيقتضينى أن استأجر مركبة للغرض المطلوب . . وأنا رجل رقيق الحال محدود الموارد . .

— انى سأتكفل بهذا . .

قال (شانر) هذه الكلمات وهو يمد يده إلى جيبه . . فأخرج منه لفافة كبيرة من الأوراق المالية الجديدة ، وأزال غلافها ، ولوح بها فى أغراء قائلا :

ـ ساضاعف الثمن . . فكم تريد ؟ . .

فراح (كافنديش) يحملق فى الغلاف الممزق الملقى على الأرض ، مطبوعاً عليه آلاف الريلات وما لبث أن تطلع الى (شانر) متهما وقال له:

ـ إذن فانت خاطف الغلام وقاتله ؟ ! . .

وتراجع رافعاً ذراعيه أمام عينيه كأنما يتقى النظر الى وجه (شانر).. فعبس هذا قائلا :

ـ الاتراك ابله معتوها ؟ . . إن مافعلت أو لم افعله ، هو شيء يعنيني وحدى . . اتحب أن افضح حقيقة متحفك الجهنمى ؟ . . انى فى غير حاجة إلى الذهاب شخصياً إلى البوليس لهذا الغرض كما تعلم ، فان حديثا تليفونيا كفيل باستقدامهم إلى هنا . . .

وكان (شانر) نهازاً للفرص كما رأينا ، يجيد اساليب (التهويش)، ويتقن فنون المناورات ، فتقدم خطوة نحو الباب قائلا :

ـ حسنا . . إن كان هـــذا ماتريد ، فأنا ذاهب . . فى اعتقادى أن الخروج من البلدة غير مستحيل ، بمساعدتك ، أو بغير مساعدتك .. لكنى سأتم هذا الحديث التليفونى مع البوليس قبل ابتعادى عن البلدة .

ـ لا . . انتظر ! . .

فاستوقفت هذه الصيحة (شانر) لدى الباب . والتفت باسما إلى الفنان قائلا : خيراً ؟ . . .

فقال (كافنديش) انى لم أكن أود أن أفعل هذا . . بل هو آخر شيء أفعله لكن فى هذه الظروف ، لابد مما ليس منه بد .

فقال (شانر) وهو يعود إليه : هل تساعدنى إذن ؟ . هذا أفضل . صدقنى يا (كافنديش) إن هذا خير لنا معاً .

فأومأ الفنان الضئيل قائلا : نعم . صدقت . أنت إذن لم تصدق قصتى عن قناع (ميدوزا) ؟ .

فقال (شانر) باسما : هى قصة مسلية للاطفال يا (كافنديش) . أما أنا فرجل واقعى ، لا أومن إلا بالحقائق .

فتنهد (كافنديش) قائلا : لقد كنت اؤمل اقناعك بصدقها . أما وقد فشلت فى اقناعك .

ووثب الرجل فجأة خلف حاجز فى الصالة . . فلما برز ثانية ، كان بيده شيء لم يستطع (شانر) أن يتبينه فى ظلال المكان .

وما لبث (كافنديش) أن هتف بصوت قاصف .

ـ أنظر إذن ! . . أنظر أيها القاتل ! . . أنظر إلى (قناع ميدوزا) القاتل !! .

فتبرم (شانر) ساخطا من هذا (المجون) الذى لا يجدى معه تفاهم أو اقناع . وزاد به ضيقاً أن الفاه يشهر فى يده هذا القناع البشع الفظيع

الذى يمثل سحنة هائلة مروعة لا هى بالحيوان ولا هى بالإنسان سحنة مخيفة تمثل فيها جمود الموت ممزوجا ببصيص الحياة على نحو شاذ خارق لا تفسير له ولا قبل للإنسان العاقل أن يؤمن به فما لبث (شانر) أن ردد النظر إلى القناع فى ازدراء ، وقال للفنان .

- هذا دجل ! . هذه شعوذة ! هذا .

لكنه لم يتم كلامه ، فقد انبثقت من فم القناع ، بحركة خفية من يد الفنان ، رصاصة استقرت فى قلب (شانر) فخر صريعاً على الأثر .

وفى اليوم التالى ، ازيلت اللوحة المعلقة على متحف (كافنديش) ووضعت مكانها لوحة بالعنوان التالى :

كولمبس عصري

هتف الملاح عالياً من فرط الحبور وهو مقتعد قمة السارية الكبرى في السفينة اليابسة ! اليابسة !. وماله لا يهتف ولا يطرب وقد آذنت رحلة (كريستوفر كولمبس) بالنهاية بعد طول المخاوف وتعاقب الاهوال والمكاره وأما كولمبس فقد رفع منظاره المكبر بيدين راعشتين وقال بعد برهة مخاطباً رجال السفينة : إني أرى سلسلة جبال شاهقة .. لكن من العجب أن بها نوافذ ، وأنا لم أشهد في سالف رحلاتي جبالا تتخللها النوافذ قط !..

وتجاوبت جنبات السفينة بصيحة قائل يقول : هذا قارب زاخر بالأهلين !. فهرع مستكشفو الأرض الجديدة إلى جانب السفينة مشوقين مبهورين وهم يلوحون بقبعاتهم المزدانة بريش النعام وقد راحت عباءاتهم تنساب من خلف ظهورهم في الهواء ..

وصعد إلى سطح السفينة اثنان من الأهلين يرتديان زياً غريباً أخضر اللون ، ودفعا إلى كولمبس في صمت برقعة كبيرة من الورق .. فقال كولمبس مفاخراً تياهاً : بغيتي أن أستكشف أرضكم هذه .. باسم الملكة إيزابيلا عاهلة أسبانيا ، أعلن أن هذه الأراضي أضحت مملوكة لـ .. فقال أحد الرجلين في فتور وجهد : أحقاً ؟. لكن عليك أولا ملء

بيانات هذه الاستمارة . . . أكتب بالأحرف الكبيرة اسمك كاملا ، جنسيتك ، وأحوالك العائلية ، وبين إن كنت مريضاً بالتراخوما أو مصاباً بالعته ، أو متآمراً لقلب الحكومة الامريكية . . فما أن سمع كولمبس هذا الكلام حتى أمسك بمقبض سيفه ، بيد أنه حين قدر أنه غير مصاب بالعته أن ثاب إلى الهدوء والسكينة ، وقال لرفاقه : لا يخلق بنا أن نغضب الاهلين . لقد علمتنى التجارب أن لبعضهم أحياناً أطواراً غريبة ، ولا بد من مداراتهم .. ذلك وقد استطرد الرجل المتكلم يقول مخاطباً كولمبس : أمعك تذكرة العودة وخمسة آلاف دولار ؟. فقال جواب البحار الأعظم بدهشة : وهـــل لى أن أسأل عما تكون هذه الدولارات التى تذكرها ؟!

- لقد أبديت منذ برهة أنك غير معتوه ، ومع ذلك أراك تستفهم عما تكون الدولارات !. ماذا تريد أن تفعل هنا ؟

- أريد أن أستكشف أمريكا . .

- وهل أعددت العدة للدعاية ؟ .

- الدعاية ؟.. إنى لم أسمع بهذا الاسم من قبل !

فرمق الرجل كولمبس بنظرة فاحصة ثم قال آخر الأمر : وتريد بعد هذا أن تستكشف أمريكا ؟! لو كنت مكانك ما فعلت هذا يا سيد كولمبس . فقال ربيب جنوا العظيم بلهجة القلق : ماقصدك ؟ أترى إنى لن أنجح فى استكشاف أرضكم هذه البكر الغنية الخصبة ؟ بيد أن الرجل

ابتعد عنه وهو يغمغم فى سره بهذه الكلمات : لن يحالفك التوفيق والسداد بغير دعاية ولا إعلان ..

ومهما يكن من شيء فإن كولمبس هبط الأرض الجديدة وهو شديد الانفعال ، بادى التأثر وقد حمل فى إحدى يديه لفافة بها حبات مسابح وفى نيته أن يستبدل بها لدى الأهلين ذهباً وعاجاً ، وحمل فى الأخرى راية أسبانية كبيرة .. وراح يجيل النظر فيما حواليه مستطلعاً ، فأينما ولى وجهه لم تصافح بعده مشاهد التربة الزراعية والأعشاب السندسية والأشجار الوارفة التى ألف أن يبصرها فى أوربا العتيدة الوادعة ، بل كان كل ما صادف نظره عناصر قوامها الحـــجارة والأسفلت والاسمنت والفولاذ ..

ومر به حشد كبير من الناس أطبقت أيديهم على أقلام وقراطيس وآلات تصوير ، وقد حفوا من كل ناحية بمصارع ذائع الصيت هبط اليابسة منذ دقائق من سفينة مجاورة ، وكان مخلوقا غليظ العنق مفرطح الأذنين استأثر منهم جميعاً بأشد الاهتمام حتى لم يحفل أحد بكولمبس إلا امرأتان من الأهلين اصطبغ محياهما بما لا يدرى كولمبس ، وقد تعطفت احداهما فقالت لصاحبتها : من يكون هذا المخلوق صاحب العلم ؟ فأجابت هذه قائلة : ربما كان لوناً من الإعلان عن مطعم اسبانى .. ثم أسرعتا فى سيرهما تلتمسان مشاهدة المصارع ذى الأذنين المفرطحتين .

وحاول كولمبس أن يقيم الراية الاسبانية فوق الأرض الأمريكية فلم يفلح فقد كانت الأرض صلبة تكسرت عليها ذؤابة سيفه ، وكذلك

لم يجد إلا أن يدرج الشوارع حاملا على عاتقه تلك الراية الثقيلة الموشاة بالذهب ، أما ذخيرته من حبات المسابح فقد صودرت فى الجمارك ، وهكذا كفوه مؤونة حمل عبء جديد ..

وشاهد كولمبس مئات آلاف الاهلين ينطلقون مسرعين إلى شئونهم .. منهم من يهبط فى مسارب تحت الأرض ، ومنهم من يطعم ويشرب ومنهم من يتجر بيعاً وشراء ، دون أن يخطر ببالهم جميعاً أن هناك من جاء يستكشفهم ، حتى لم يتمالك كولمبس أن ناجى نفسه بمرارة . لقد جهدت ماجهدت ، وجمعت من المال ما جمعت للاضطلاع بهذه الحملة . وجزت المحيط المصطخب وخاطرت بحياتى أشد المخاطرة ، فإذا النتيجة هذا الذى ألقاه من الإعراض التام الشامل عنى ، وتجاهل الجميع لامرى !

وإذ توسم كولمبس فى أحـــد الاهلين محيا بشوشاً لاذ به يقول له مزهوا مفاخراً : اننى أنا كريستوفر كولمبس وقد جئت لاستكشاف امريكا . . . فقال الرجل : احقاً ؟ . ومتى كان ذلك ؟ . . فاجاب كولمبس : منذ قليل . . . خمس دقائق فقط ... فقال الرجل : هذابديع.. وما الذى تبتغيه ياسيد كولمبس ؟ . . فقال الرحالة الكبير فى تواضع : اعتقد أن من حق أن ألق بعض التنويه والتقدير فقال الرجل : لكن ألم يستقبلك احد حين هبطت اليابسة ؟.. فقال كولمبس. ولا شبه مخلوق.. وقد بدا لى أن مواطنيك لم يدركوا أنى جئت لاستكشافهم . . . فقال الرجل كان ينبغى أن تبرق بمقدمك . . لاجدوى من متابعتك هذه الخطة.

أن من يتصدى لاستكشاف أرض جديدة عليه أن ينبيء سلفا عن مقدمه باللاسلكي ، وأن يتزود بمحصول غزير من الطرائف والفكاهات يوزعها على مندوبي الصحف ، وأن يملأ جعبته بمئات الصور الفوتوغرافية يهديها كل من يلقاه .. أما هذا الأسلوب الذي تحتذيه فلن يقدمك قيد شعرة... أنت في حاجة إلى الدعاية ..: فقال كولمبس : هذه هي المرة الثانية التي أسمع فيها بهذه الكلمة الغريبة : الدعاية . . . ما كنهها ؟ أهي من شعائر الدين والعبادة ؟ . . أم هي من طقوس الوثنية الأولى ؟ . فتطلع الرجل إلى كولمبس في رثاء بالغ وقال : الواقع يا سيد كولمبس أن الدعاية هي هي الدعاية كما تعلم طبعاً ... إنني مشفق عليك من هذا الجهل... وسأبادرك بعمل من جانبي ...

وصحب الرجل كولمبس إلى فندق وانزله في الطابق الخامس والثلاثين ثم تركه حينا وعاد اليه برفقه رجلين من بني جلدته كان أحدهما يلوك بين ماضغيه شيئاً لاينفد والثاني يحمل (كاميرا) مالبث أن اقامها على حوامها الثلاثة وخاطب كولمبس بقوله : تبسم !.. اضحك ! .. ألا تعرف ؟ . أنظر إلى ... هكذا ! .. وكشف المصور عن ثناياه وجعل يصهل كالجواد .. وإذا كولمبس قد ناءت أعصابه بكل أولئك فانفجر يضحك ضحكا هستيريا ، وسرعان ماانبثق وهج خاطف اقترن بصليل معدني ، وقال المصور على الأثر : شكراً ثم شكراً . .

ثم دنا الرجل الثاني من كولمبس وأشرع في يديه قلماً وورقاً دون أن يكف لحظة عن المضغ ، وبعد أن سأله عن اسمه ومتى استكشف أمريكا

قال له : ماهى أفضل أربعة أشياء أعجبتك فى نيويورك ؟ فقال كولمبس الحقيقة أنى لم أجد فرصة لمشاهدة هذه الديار لكى أصدر عليها الحكم الصادق .. فأغرق الرجل فى تفكير عميق . لقد طالما اجتمع من قبل بأبطال الملاكمة ومشاهير نجوم السينما ، بيد أنه لم يصادف فيمن التقى بهم مثل هذا المخلوق المتبلد الذهن الغليظ الحس .

وأخيراً فتح على الصحفى بهذا السؤال الجبار الذى ألقاه كالقنبلة : هل أعجبتك بنات أمريكا يا سيد كولمبس ؟ وقبل أن ينتظر الجواب أنشأ يكتب على عجل وبين فينة وأخرى كان ينتزع سيجارته المشتعلة من فمه ويضعها خلف أذنه وفى هـــذا الفراغ المتخلف فى فمه كان يدس قلمه ويرفع بصره إلى السماء كأنما يستمد الوحى والالهام ثم ينقض على الورق مدونا لوامع أفكاره قبل أن تخبو أو تغيب . حتى إذا بلغ من هذا غايته ربت على ظهر كولمبس وصافحه وانصرف لايلوى على شىء .

فلما خلا كولمبس إلى صاحبه البشوش قال له هذا : قد تم كل شىء . والآن هيا بنا للقيـــام بجولة فى المدينة حتى يكون استكشافك وافيا شاملا .

وانتهى بهما المطاف فى حى (برودواى) إلى ملهى شهدا فيه مسرحية مضحكة لم يطق حياء كولمبس أن يتابعها حتى النهاية ، ففر منها فراراً كالهرة المذعورة ، وانطلق فى الشوارع مهرولا ترتطم عباءته بالمارة وهو يستعيذ سراً وعلانية من هذا البلاء المستطير فما أن أدرك غرفته بالفندق

آخر الأمر حتى استلقى على فراشه مكدوداً مضنى واستغرق لتوه فى سبات عميق ..

ولما استيقظ كولمبس من نومه فى بكرة الغد دخل عليه صاحبه البشوش دخول الظافرين وهو يلوح بصحيفة فى يده .. وشد ما كان ارتياع الرحالة العظيم حين شاهد صورته الضاحكة فى الصفحة الخامسة والثلاثين وقد كتب تحتها فيما كتب أنه متيم بفتيات أمريكا وأنه يعدهن أرشق بنات حواء فى الدنيا قاطبة ، بل قيل عنه فوق هذا أنه قد اعتزم الالتحاق بجامعة هارفارد لدراسة الجغرافية !

وقبل أن يفتح ربيب جنوا الأشهر فمه بالاعتراض والاحتجاج مقسما بأغلظ الأيمان أنه لم يفه بكلمة واحدة مما عزى إليه وأن تلك التصريحات المزعومة لم تصدر عنه ، أقبل فريق من الزائرين لم يضيعوا الوقت فى المجاملات بل نفذوا إلى صميم الموضوع ، فتجلى إذ ذاك أن الدعاية قد أثمرت ثمارها السحرية الخارقة . فقد جاء هؤلاء يدعون كولمبس للعمل فى (هوليود) وقال قائلهم : اسمع يا سيد كولمبس إننا نريد أن تمثل الدور الأول فى فيلم تاريخى عن استكشاف أمريكا ، وسوف يتزاحم الجمهور لمشاهدة هذا الفيلم الفريد الممتع وقد وضع سيناريو الفيلم فى الأصل لقصة ديماس الخالدة : كونت مونت كريستو لكن لا ضير من هذا ، فقد أدخلنا عليه تعديلات تتناول مغامراتك الاستكشافية .

وفى الحق أن كولمبس ما كاد يسمع هذا الكلام حتى ريع وفزع وانتابه الدوار وأخذ يتمتم بالصلاة ، بينما مضى مبعوث هوليود يقول :

إنك ستقوم يا سيد كولمبس بدور البطل الذى شغفت ملكة أسبانيا بحبه ، وإن كان هو مشغوفا بحب أميرة روسية . . ولكن الكاردينال ريشيليو يستعين باللايدى هاملتون لايفادك إلى أمريكا ، وهو يدبر بهذا خطة لا تلبث أن تنكشف للعيان ، فإنك لا توغل فى البحار حتى يهاجمك القراصنة فتقاتلهم قتال الجبابرة . نعم إنك لا تعرف التمثيل ، لكن ليس هذا بذى بال . فقال كولمبس وهو يئن أنينا موجعا . فما الذى هو ذو بال إذن ؟ . فقال مبعوث هوليود هو الدعاية يا سيد كولمبس . فأنت الآن معروف مشهور لدى الجمهور وسوف يستأثر بألبابهم ويستهويهم أن يروا شخصية جليلة موقرة مثل شخصيتك تقاتل القراصنة . وسينتهى القتال باستكشافك أمريكا اتفقنا ؟ . فلم يسع كولمبس إلا أن يقول وهو يرتعد من قمة رأسه إلى أخمص قدميه : اتفقنا ، وأمرى إلى الله ! .

وفى مساء هذا اليوم جلس كولمبس إلى منضدة غرفته بالفندق وسطر الرسالة التالية إلى ملكة أسبانيا :

« إنى قد ارتدت شتى الديار وجبت أقاصى البحار ، بيد إنى لم أشهد مثيلا لهؤلاء الأمريكيين . فهم لا يطيقون السكون والهدوء ، ولكى يستوفوا حظهم من الضجيج والعجيج قد أقاموا فى المدن طرقات خاصة مشيدة على عمد من فولاذ تنساب فوقها ليل نهار مركبات من حديد تدور فى سرعة الريح وتثير من الجلبة ما به يستمتعون وله يطربون .

« فأما أنهم يمارسون أكل لحوم البشر فهذا مالم أحط به خبراً

على وجه القطع واليقين ، ولكن الذى لاريب فيه أنهم يأكلون الكلاب الساخنة فى مطاعم يتهافت الناس عليها ، فتنطلق السنتهم باعطر الثناء وأسنى الأطراء .

« ان القوم هنا ينضحون جميعا برائحة غريبة يقال لها فى لغتهم الوطنية (الجازولين) . أن أريجها يفوح فى الشوارع كافة ، وحتى النساء لهن منها نصيب مقسوم ، وان كانت خياشيمنا معشر الأوربيين لتضيق بها وتصدف عنها .

« ولقد وقر عندى أنهم من الوثنيين فان لهم أربابا كثيرة يعبدونها وقد نقشوا أسماءها بأحرف مضيئة فوق أكواخهم ، وأشهر أربابهم الكوكاكولا والكافتيريا وآلة « الجازولين » المعروفة باسم فورد وهو بمثابة زيوس من آلهة الاغريق الأقدمين » .

ثم إن القوم اسوء الحظ أدنى الى الهمجية ولم تشرق عليهم بعد شمس الحضارة والتمدن ، فالحياة لديهم موسومة بطابع البطء الشديد ، على تمام النقيض من ذلك النشاط الجارف "الغامر" الذى يطبع حياتنا المعاصرة فى أسبانيا . بل إن السير على الأقدام يبدو لديهم من قبيل السرف فى الحركة واستنفاذ الطاقة البشرية ، وكذلك رأيتهم وقد عمدوا للحد من هذا السرف الى استحداث مقادير ضخمة مما يسمونه سيارات يمتطونها بعضهم فى أثر بعض ويدرجون بها فى المدينة بسرعة السلحفاة ، وهم واجدون فى هذا من أسباب البهجة والانشراح مايثلج منهم الصدور ويقر العيون .

وان أروع ما راعني من تلك الديار هو ما شهدته في مكان يدعى (برود. اى) في كوخ عظيم يسمونه (المسرح) ، يحتشد منهم خلق كثير ليشهدوا نساء منهم يرتقين منصة عالية، ثم لا تلبث النساء بين دقات الطبول الداوية الوحشية ، ونغمات المزامير المحمومة المجنونة أن يتجردن بعد إذ كن كاسيات فيقابل هذا من الحضور بالتصفيق وكانهم أطفال سذج أو صبية أغرار، حتى إذا تجردت أخراهن أوكادت وضج المكان بالتصفيق والصخب وبلغت الحماسة مداها والانفعال ذروته ، حدثت ظاهرة غير مفهومة على الاطلاق ، إذ يسدل الستار على الأثر. وينفض الحشد الحاشد وتتفرق الجموع الزاخرة .

« حسبي من هذا يا مليكتي ما أسلفت وأرجو أن تهيء لي الظروف متابعة استقصاء أحوال هذا البلد الشاذ العجيب . . .

« عبدك المخلص ـ كريستوفر كولمبس »

طيف لنكولن

لم تنقض ثلاثة أعوام على وفاة (ابراهام لنكولن) رئيس جمهورية الولايات المتحدة حتى وقعت فى شيكاغو سلسلة من الأحداث المتعاقبة ماعتمت أن أخرجته من مثواه الأبدى وردته إلى عالم الأحياء . . وإلى القراء تفصيل هذه الظاهرة الفذة الخارقة .

كانت (اليانور كومستوك) فتاة حسناء فى الثانية والعشرين من عمرها وقد انهمكت ظهر ذلك اليوم الثانى من شهر أبريل عام ١٨٦٨ فى إعداد طعام الغذاء لوالدها الشرطى فى بوليس المدينة ، وانعقد تفكيرها فى يوم سيهل بين الأيام أغر ميمون الطالع بعد شهرين من الزمان ، تزف فيه إلى خطيبها الشاب الوسيم (جوزيف ماسى) .

وفيما هى كذلك سابحة فى أحلامها العذبة إذ طرق الباب الخارجى ، فلما فتحته بدت لها امرأة متشحة بالسواد مقنعة بنقاب كثيف وعلى وجهها عوينات عريضة ، وقد ابتدرتها الزائرة الغريبة بقولها : « إن صديقتك جينى هارت أصيبت اصابة بالغة ، فتعالى معى إليها »

فما أن الت (اليانور) بهذا النبأ المشئوم حتى أسرعت إلى قبعتها فوضعتها على رأسها وغادرت البيت على عجل برفقة المرأة الصامتة المغرقة فى صمتها على نحو غريب فلما بلغتا فى سيرهما بقعة مقفرة فى ظاهر المدينة

إذا المرأه المقنعة تنقلب بغتة على الفتاة وتهوى عليها بمطرقة كانت تخفيها تحت شالها فتخر المسكينة مغمى عليها .

وفى تلك المحظة مرت بمكان الحادث مركبة يقودها مدرب جياد يدعى (جيمس روكى) فأخـــبرته المرأة المعتدية أن حادثاً وقع لرفيقتها ، وسألته أن يقلها إلى أقرب نقطة تلتمس فيها الإسعاف . . أما (روكى) فلم يخف عنه السر وقد فهم ببديهته حقيقة ما وقع ، وكذلك أسر فى نفسه أن يقتاد المرأة إلى أول مقر للبوليس . بيد أنه لم يكد يبتعد بالمرأه المقنعة مسافة قصيرة حتى غافلته ووثبت من المركبة واختفت عن ناظريه قبل أن يعقل فرسه ويجد فى أثرها . . وفى تلك الأثناء توافد فريق من المارة حيث كانت (اليانور) مسجاة فى غيبوبتها ونقلوها إلى دارها . .

ولما كانت شيكاغو لم تعهد مثل هذه الجريمة الغامضة منذ عهد بعيد فقد خرجت الصحف طافحة بأنبائها المستفيضة . وانقضت أربع وعشرون ساعة وليس للمدينة من شاغل إلا حديث هذه الجريمة المروعة التى أشفت ضحيتها على الردى . .

وعهد بتحقيق القضية إلى المخبر (كرانى) الذى استدل من عنف العدوان مع انتفاء عنصر السرقة على أن الباعث على الجريمة لابد أن يكون الغيرة النسائية . ، ولذلك سعى إلى (جوزيف ماسى) خطيب المجنى عليها وسأله أن كان فى عداد معارفه امرأة يجوز أن تكون الغيرة قد ألهبت صدرها من خطيبته الحسناء . وقد أدى هذا الاستقصاء

إلى إماطة اللثام عن حقيقة لحواها أن (جوزيف) كان قبيل عقد خطبته على مودة وثيقة مع أرملة جزيلة الثراء تدعى (مسز جراير)

إذ ذاك اصطحب المخبر الداهية مدرب الجياد (جيمس روكى) إلى حيث تقيم الأرملة ، ولم يكد يقع نظره عليها حتى همس فى أذن المخبر قائلا : « هى المرأة المعتدية بعينها . وحتى لو غاب عنى استذكار ملامحها ، لعرفتها بأنفها » . .

ذلك أن الأرملة (مسز جراير) تميزت بأنف أفطس كان من المعالم البارزة فى صفحة وجهها ، وقد استوعبته نظرات (روكى) حين أزاحت المرأة المعتدية نقابها وهو يقلها فى مركبته قبل إفلاتها منه .

ولما استجوبها المخبر (كرانى) أنكرت كل علم لها بالجريمة . . بيد أن (كرانى) اعتقلها ليقينه بأنها الجانية ووجهت إليها على الأثر تهمة ارتكاب الجرم الوحشى .

وقد عهدت المتهمة بالدفاع عنها إلى رجل كان من خاصة أصدقاء (ابراهام لنكولن) وهو الأستاذ (ليونارد سويت) المحامى الفذ القدير الذى اشتهر فوق براعته الفائقة فى الشئون الجنائية بمشابهة فريدة لرئيس الجمهورية الراحل ، وقد ضاعف منها تطبعه بكثير من عادات (لنكولن) وخصائصه . .

وكان (ليونارد سويت) قد اضطلع بكثير من المهام الخاصة للرئيس على عهده بالمقام فى البيت الأبيض ، وهى حقيقة لم يدخر

المحامى الأريب جهداً فى إذاعتها بين الناس حين أسس مكتبه فى شيكاغو بعد اغتيال (لنكولن) .

وفى العام الذى أعقب مصرع الرئيس كان المارة فى شوارع المدينة يكفون عن سيرهم واجمين مشدوهين لدى مرأى (سويت) ، موقنين بأن مايصافح أبصارهم إن هو إلا شبح الفقيد .

وكانت الصحف دائبة فى إحياء القضية وإبقائها ماثلة فى الأذهان طيلة الأشهر السابقة لنظرها أمام المحكمة ، وساعدها فى ذلك ماجد فيها من أطوار . . فقد كتب الآنسة اليانور الشفاء مما وقع عليها من عدوان وتم عقـــد قرانها على خطيبها (جوزيف ماسى) . . كما أعلن المحامى (سويت) أنه اشترك فى الدفاع معه عن المتهمة الاستاذ (اسحق ارنولد) عضو الكونجرس السابق . .

وكان (أرنولد) الكهل من أصفياء (لنكولن) وخلصائه كزميله (سويت) ولكن فيما عدا هذه الصلة المشتركة بالرئيس السابق لم يكن بين الزميلين من وشائج التقارب ما يجمع بينهما فى صعيد واحد . . وفى الحق أن اقحام (أرنولد) فى مثل هذه القضية الجنائية كان مبعثاً للعجب والحيرة ، فهو لم يمارس شئون المحاماة منذ أعوام كثيرة ، وهو فى هدوء طبعه وإيثاره من مزاولة القانون جوانبه المدنية البعيدة عن ضجيج محاكم الجنايات كان أبعد عن الانساق مع شخصيات هذه القضية ولن يبرح هذا التنافر قائماً حتى تبلغ القضية ذروتها وتوفى على ختامها . .

ونعود بعد هذا إلى الاستطراد فنقول إن الأستاذ (سويت) المحامى

الفحل قد استرعى نظره فيما تنشره صحف شيكاغو عن تفصيلات القضية ورد فى إحداها يشبه أنف موكلته بأحد المصارعين . . فسرعان ما استند فى هذا الوصف إلى طلب تغيير مكان المحاكمة والانتقال بالقضية إلى موطن آخر بدعوى أن موكلته لن يقدر لها أن تظفر بمحاكمة عادلة فى مقاطعة (كوك) مادامت صحافتها تتناول شخصها بمثل هذه المثالب الجارحة . وقد أخذت الجهات المختصة بهذا المطلب وتقرر نقل القضية إلى بلدة (فوجان) حاضرة مقاطعة (ايك) المجاورة . .

والواقع أن الأستاذ (سويت) كان يعلم أن بلدة (فوجان) منفردة بين سائر الديار الأمريكية بتبجيلها لذكرى الرئيس الراحل (إبراهام لنكولن) .. فكثير من أهليها كانوا يعرفون (لنكولن) معرفة شخصية ، وما من أحد منهم إلا من كان يطوى الضلوع على محبته وإعزازه .

والنتيجة المنطقية المترتبة على هذا الوضع أن الأستاذين (سويت) و(أرنولد) ما كادا يحلان فى البلدة فى شهر فبراير من عام ١٨٦٩ لحضور محاكمة المتهمة (مسز جراير) حتى كانا معقـــد الإجلال فى كافة أرجاء البلدة ومناط التقديس بين سائر ذويها . .

ومن الحق أن نقرر أن (تشارلس ريد) ممثل الاتهام لم يكد يفهم تلك البواعث التى حدت بالدفاع إلى الاستيثاق قبل كل شيء من ميول المحلفين السياسية . أما السر فى هذا فهو أن (لنكولن) كان زعيم الحزب الجمهورى ، ولم يطمئن الدفاع حتى استوثق من أن هيئة المحلفين المؤلفة من عشرة مزارعين واثنين من أرباب الصناعات جمهورية النزعة . ومهما يكن فإن (تشارلس ريد) ، وهو الجمهورى العريق ، لم يشأ أن يعترض سبيل الدفاع من هذه الناحية ، وترك لها الحبل على الغارب .

وكانت الأدلة التى أزجاها الاتهام ضـد (مسز جراير) ظاهرة فى دلالتها دامغة فى إدانتها .. فإن (روكى) مدرب الجياد قد تعرف عليها بما لا يدع مجالا لمرتب ، كما أن المجنى عليها تعرفت عليها كذلك بتمييز صوتها وأسلوب مشيتها ، وبذلك الخاتم المعين الذى كانت الجانية تضعه فى يدها ، واستطاع البوليس فيما بعد أن يعثر عليها فى حيـازة الأرملة مسز جراير . يضاف إلى ذلك كله أن تحريات البوليس فى الفترة السابقة لموعد المحاكمة عن اقتناء مسز جراير مطرقة شبيهة بتلك التى استخدمت أداة للجريمة .. أما دافع الغيرة الذى عزى إلى المتهمة وكان الباعث لها على ارتكاب فعلتها فقد تهيأ للاتهام إثباته فى غير كبير عناء .

وكان توافر هذه العوامل جميعاً سبباً لاقناع طلاب الحقوق من شهود المحاكمة بأن حكم الادانة لا يلبث أن يصدر بالاجماع الشامل . .

أما الدفاع الذى التزم الهدوء فى خلال ذلك على نحو غريب فقد استهل مهمته بمحاولة فاترة من جانب الأستاذ (سويت) لاثبات وجود المتهمة بعيداً عن مسرح الجريمة وقت ارتكابها . . وكان سبيله إلى ذلك تقديم طائفة من الشهود قرروا أن (مسز جراير) لازمتهم ولم تغب عنهم وقت وقوع الجريمة وفيما سبقها وتلاها أيضاً . . بيد أن هذه الشهادة ما لبثت عند استجواب الشهود أن تخاذلت ثم تهاوت حين ثبت أنهم جميعاً من أقرباء المتهمة . .

هناك عمد الأستاذ (سويت) إلى القاء ما يسمى فى العرف الصحفى المعاصر بالقنبلة المدوية . . فقد ســاق أمام المحكمة امرأة وطفليها البالغين من العمر اثنى عشر عاما وثمانية أعوام على التعاقب وقد أجمع ثلاثتهم على أنهم كانوا شهود عيان للجريمة ، واتفقت شهادتهم على أن

(مسز جراير) لا يمكن أن تكون هى الجانية ، لأنهم لمحوا وجه المتدية عندما ازاح النقاب عنه لحظة ارتكاب الجريمة ، فكان أبعد شيء عن مشابهته لوجه المرأة الماثلة الآن فى قفص الاتهام . . لمناقشة هذه الشهادة حتى مادت الأرض من تحت أقدام الأم و . لديها وزلزلوا زلزالا شديداً وذهبت شهادتهم بدداً فى الهواء بمـــا بدا فيها لدى الاستجواب من تناقض صارخ وتضارب بين . .

وهنا نهض (دريسكول) ممثل الاتهام المساعد فعرض لأدلة الإدانة عرضاً موجزاً سريعاً ، ثم أفضى من هذا إلى شن حملة شعواء على هيئة الدفاع التى لم تتورع عن الاستعانة بفريق من شهود الزور ضاربة بقدس القضاء عرض الحائط . . وجلس المحامى (سويت) يستمع إلى هذا الاتهام الدامغ اللاذع مطرق الرأس كاسف البال ، وإن كان فى حقيقته أبعد عن القهر والوجوم . .

فلما فرغ (دريسكول) من حملته العنيفة تلك قام المحامى (أرنولد) الوديع المسالم الذى لم ينبس بكلمة واحدة منذ بدء المحاكمة مفندا منافحا . وقد بدا لهيئة المحلفين وهو ماثل أمامها أنه غير مكترث لمصير (مسز جراير) بقدر ماهو معنى بموقف زميله (سويت) الذى مابرح معنا فى إطراقه وسهومه . .

ثم أخذت خيوط المؤامرة التى حاك الدفاع نسيجها تتجلى للعيان حين زفر المحامى (أرنولد) من كبد حرى وأعرب عن بالغ أساه لما اختطه الاتهام من مهاجمة الأستاذ (سويت) . واستطرد فى هذا يقول « وإنى أيها السادة لآمر مر الكرام بما فى هذه الحملة من تعريض ضمنى بشخصى وخدش سافر لمشاعرى . . فما أنا سوى رجل كهل لن يفسح

له فى الأجل طويلا . . وإنما يحز فى نفسى ويمزق نياط قلبى أن يمرغ فى التراب قدر شخصية جليلة هى شخصية ليونارد سويت وهو من عرفتم مكانة من نفس رئيسنا طيب الأثر عاطر الذكر ابراهام لنكولن ».

فلما فرغ (أرنولد) من تمجيد زميله (سويت) والاشادة به بذلك الاستهلال البارع الذى لم يتردد بعده فى أن يخوض غمار (الحرب الاهلية) من جديد تذبيتاً لذكرى الرئيس الراحل الاجل وامعاناً فى التأثير ، لم يستطع المحلفون إلا أن يتابعوا مرمى نظراته وهى تستقر عند الزميل المتجنى عليه المغموط القدر . . . وفى الحق أن مشهد الاستاذ (سويت) شبيه (لنكولن) وهو منكس الرأس فى سهومه ذاك كان أبلغ وأقوى من أن تحتمله نفس أرنولد الرقيقة . فقـــد أومأ بيده إلى هيئة المحكمة اعتذارا وقصوراً عن متابعة ما كان آخذا فيه من تلك الذكريات المقدسة ، ثم تهالك فى مقعده مضعضع النفس مذهوب الجأش محطم الجلد . .

ولو أن هيئة من المحلفين قدرلها أن تتأثر أبلغ التأثر بلون من الدفاع بعيد أقصى البعد عن موضوع القضية المطروحة أمامها لما كانت إلا هذه الهيئة الماثلة فى قاعة محكمة (فورجن) بل لقد توالت النذر أمام هيئة الاتهام وأضحى الموقف ينبىء بأوخم العواقب حين انبعثت الذكريات لواعج الحزن فى صدور كثيرات من شهود الجلسة فأجهشن بالبكاء والنحيب .

ثم جاء على الأثر دور الأستاذ (ليونارد سويت) فى مخاطبة المحلفين . فقد نهض من مقعده وشبك يديه خلف ظهره على نحو ما كان يفعل (لنكولن) وسار مطرق الرأس بخطى وانية صوب منصة القضاء .

والواقع أن (سويت) قد بلغ حينذاك ذروة المشابهة للرئيس (لنكولن) وتجلى للعيان إذ ذاك أن هذا الهيكل المتجسد الشاخص أمام المحكمة ليس من البشر فى شىء ، وانما هو طيف علوى خالد يفيض عدلا ورحمة..

وقد وقف (سويت) فأطال الوقوف أمام المحلفين التماسا لمزيد التأثير.. ثم تجلى عليهم بنظارات الجد والرصانة . ثم أفاض فيهم بحديثه الاسنى ، فقال أنه كان يود أن يشكر الاستاذ (أرنولد) لما أسبغ عليه من محامد وما قلده من إطراء يعتقد موقناً أنه غير أهل له ، ولكن هكذا شاء (أرنولد) فى كرمه وفى تصويره الصادق لمناقب لنكولن العظيم .

واستطرد المحامى (سويت) قائلا وهو يومىء بيده إلى الاستاذ (أرنولد): «أجل أيها السادة ! إن هذا الرجل المبجل الذى قد شرفنى بصداقته إن هو إلا صورة حية شاخصة تحكى رئيسنا الشهيد الراحل وتمثله عقلا وروحا. فإذا جاء الاتهام أيها السادة الاماثل وراح يقدح فى زميلى الكريم بالقدح فى شخصى، فهو انما يقدح فى ذكرى رئيسنا العظيم . وما القدح فى (ابراهام لنكولن) ونعته بالزيف والتدليس وازجاء شهادة الزور إلا الكفر بعينه ! الكفر لا غيره ! . الكفر فى أبشع صوره ! »

وتبدلت بعد ذلك أطوار المحامى (سويت) فانحاز إلى البشاشة والابتسام . وساق بين يدى المحكمة حكاية فكهة صغيرة على نحو ما كان يفعل (لنكولن) إذ كان يتمثل بالحكايات الفكهة الصغيرة لكى يخلص منها إلى النتائج الجليلة . ثم التفت إلى مدرب الجياد (روكى) شاهد الاثبات الأول وهو رجل فاضل لاغبار عليه ، فجعل المحامى يتفرس فيه مليا ، ثم استدار إلى المحلفين قائلا .

« لا مفر أيها السادة أن نتوسل بالصفح والتسامح ، وعلينا ألا ننسوا

فى حكمنا على هذا الرجل إن كنا لا نرى فى قسمات وجهه سوى امارات الانحلال وعلائم الفساد . كم هو مسكين حقاً ؟ إن مثله فى إيثار الكذب والتلفيق كمثلى ومثلكم فى التعلق بالشرف والاستمساك بالامانة » .

وانثنى المحامى بعد ذلك إلى باقى شهود الاثبات يعمل فيهم أسلوبه الجبار نهشا وتمزيقا تحت ستار ظاهره الرحمة والرثاء وباطنه من قبله الهدم والتنكيل . وأفضى من هـذا إلى الحديث عن مسز (جراير) . .

ومهما يكن من ظن المحلفين بالمتهمة فقد تبدلت نظرتهم إزاءها تبدلا كبيراً حين طفق المحامى لداهية يسهب امتداح مناقبها ويسترسل فى تعداد خصالها . بل منهم من ذهب يتصورها ملـكا كريما وقد كانت من قبل فى أذهانهم شيطانا رجيما .

وإذ انتهى المحامى (سويت) آخر الامر من مرافعته البليغة ترك من آثارها ما وقر معه فى النفوس أن الذى مثل أمام المحلفين وقام فيهم متكلما خطيبا إن هو إلا (ابراهام لنكولن) قد بعث من مرقده وقام من مثواه الابدى .

وانسحب المحلفون المداولة وأغلبهم دامع العين خاشع القلب . وظلوا ساعات متعاقبة يتحاورون والنقاش محتدم بينهم على أشده ، فمنهم المبرئون ومنهم المصرون على الادانة ، ولـكن الاغلبية أقرت سقوط التهمة قبل مسز (جراير) .

وقد ظلت بلدة (فوبجن) أعواما متصلة ولا حديث لاهلها سوى طيف لنكولن الذى شخص فى قاعة المحكمة فكان مثوله أمام المحلفين مغيراً مجرى العدالة مؤديا الى إنقاذ امرأة ما كان يقدر لها النجاة من الادانة المطبقة لولا ظهور طيفه على تلك الصورة المعجزة الخارقة .

هيئة قناة السويس

أثر قناة السويس فى جيلنا الحاضر

المعروف أصلا عن قناة السويس أنها مرفق خدمات عامة الا أنها بفضل مالها من امكانيات تساهم فى خلق جيل جديد من ذوى الكفايات الفنية والادارية والمهنية التى يمكن الاعتماد عليها فى مختلف نواحى النشاط فى هذا المرفق .

ولاشك فى أن مثل هذا النشاط له أثره فى الاقتصاد الوطنى والعالمى . اذ كلما زادت طاقة القناة زادت بنفس النسبة قيمة الخدمات التى تؤديها للدول التى تستخدمها فى التبادل التجارى بينها .

ويزيد عدد موظفى قناة السويس من فنيين ومرشدين واداريين على الالف وهم موزعون على مختلف أقسامها ، بينما يبلغ عدد عمالها أكثر من أربعة آلاف يقومون بشتى الاعمال التى تتطلبها ادارة المرفق .

والعدد الاكبر من موظفي وعمال هيئة القناة هم من العرب المؤمنين باهمية العبء الملقى على عاتقهم ، الممتلئين حماسا للاحتفاظ للمرفق بما بلغه من مستوى عالي كان مثار اعجاب العالم أجمع .

روايات عالمية

يوم السبت اول يولية سنة ١٩٦١

الأبيض والأسود

الرواية الانسانية المشهورة

التى خلدت نضال زنوج امريكا فى سبيل البقاء

بقلم الكاتبة الامريكية

ا. بيتشر ستو

تعريب

الاستاذ محمود مسعود

الكتاب ١٠٧ الثمن ٥ قر

صدر يوم الخميس ٢٩ يونية (حزيران) سنة ١

الدار القومية للطباعة والنشر

شركة ذات مسئولية محدودة

١٥٧ شارع عبيد – روض الفرج

تليفون : ٤٥٣٤٦ – ٤٥٤٠٥